

مغامرات أوليفر تويست

تأليف: تشارلز ديكنز

إعداد وتقديم / أ/اسامة عبد الرحمن

رقم الايداع: ٢٠١٩/١٧٧٨٩

الترقيم الدولي: ٩-٥٧٥-٧٣٨٧-٩٧٧-٩٧٨

مقدمة

تحكي قصة أوليفر تويست عن طفل صغير ماتت أمه بعد ولادته مباشرة أما والده فقد مات بعد ولادته بأشهر قليلة نشأ الطفل يتيما وترك لرحمة قلوب قاسية من العمال الذين يديرون الإصلاحية بعدها قررت السلطات التي تدير الملجأ نقله إلى ملجأ فرعي حيث ثلاثون يتيماً آخرون يعيشون تحت ظروف مزرية ومعاملة سيئة .

بر الطفل ضئيل الجسم وأصفر الوجه والطعام الذي يقدمونه كان لا يشبع وكان الأطفال غالبا ما يتصارعون من أجل الطعام ويوما، جاء إلى الملجأ السيد بامبل لأخذ أوليفر وذهب أوليفر مع السيد بمبل وعندما بلغ التاسعة من العمر كان شاحب الوجه، ضعيفا وقصير القامة، وعمل عند صانع توابيت موتى وحنوتى.

بعدما سب نوح أحد عمال الحانوتى أم أوليفر، هرب هذا الأخير إلى لندن مشيا على قدميه، فقابل في رحلته طفلا منحرفا يعمل لحساب

عصابة وهو رئيس عصابة تستغل الأطفال في النشل مقابل إطعامهم وإيوائهم لكنه يتورط دون أن يفعل شيء ويهرب الأطفال بالغنيمة فيذهب به العسكر للقسم ومن ثم يبدأ القاضي بنطق الحكم ولكن صاحب محل الكتب الذي كان يشتري منه السيد بروان يرى لحظة السرقة ويؤكد ان أوليفر لم يكن هو الذي سرق ويعشي علي الصبي فيأخذه بروان معه ويعتني به ومع تطور الأحداث يظهر شخص غامض اسمه مونك يقابل فاجن ويطلب منه تدمير سمعة اوليفر فيعلم السيد براون ويصفي بروان لو حساباته مع مونك حيث اكتشف ان اوليفر اخاه من أبيه فقط وأراد تدمير سمعته حتى لا يحصل على الميراث حسب وصية الوالد التي لا تعطي الحق في الميراث للأبناء الفاسدين وتنتهي الرواية علي ذلك.

اسامة عبد الرحمن

كانت مدن إنجلترا وقراها على عهد قصتنا هذه تزهى بما فيها من ملاجئ البر والاحسان ففى ملجأ من تلك الملاجئ ولد ذات يوم وليد جديد مجهول الأب وشاء القدر أن تلفظ أمه أنفاسها بعد مولده بدقائق معدودة فلم يعرف إلى أى طبقة من طبقات المجتمع ينسب هذا الولود الجديد اهو ابن عظيم من العظماء أم ابن متسول من المتسولين فتبنته إدارة الملجأ وأطلقت عليه اسم أوليفر تويست وعهد فى تنشئته وتربيته إلى دار من دور رعاية الطفل ريثما يكبر ويتزعرع فتستعيده وتستخدمه فى بعض الأعمال فقد كان من أنظمة تلك الملاجئ الخيرية أن توفر المأوى والغذاء لمن يلتجئ إليها أو تتبناه على ان ينهض بما تفرضه عليه من عمل وخدمه ولن يشذ بطل قصتنا عن ذلك النظام فسوف يعود بعد سنوات إلى الملجأ الذى ولد فيه ليقوم بالعمل الذى يطلب منه لقاء ما يقتات به من كسيرات الخبز أو فتات الطعام .

هبط أوليفر تويست إلى هذه الدنيا وهو يبكى ويصيح ولو عرف في ساعة مولده أنه جاء إلى هذه العالم يتيماً فقيراً وأنه سيعيش فيه فريسة للعذاب والجوع وعرضه للنهر والضرب يزدريه الناس ويضنون عليه بالعطف والحنان – لو عرف في ساعة مولده ذلك كله لزاد في بكائه وصياحه .

ولما بلغ التاسعة من عمره كان سوء التغذية في الدار التي نشأ فيها قد جعل منه طفلاً هزيلاً شاحب اللون ولكن الطبيعة أو لعلها قوانين الوراثة كانت قد عوضته عن ذلك وحبته بفكر نير وذهن ثاقب وسريرة مستقيمة.

واتفق في اليوم الذي تخطى فيه عتبة السنة التاسعة من عمره أن كان هو ورفيقان له محبوسين في القبو الذي يخزن فيه الفحم والحطب في تلك الدار نزلوا إليه بعد ان اشبعتهم مديرة الدار ضربا وركلاوكل

جريرة هؤلاء الصبية الصغار أنهم جرؤوا على الشكوى من الجوع الذى يقرص بطونهم

وبينما قبع هؤلاء الثلاثة فى حبسهم المظلم يزور الدار زيارة مفاجئة وكان مجلس غدارة الملجأ قد ناط به تفقد الصبيه ورعاية شئونهم ولشد ما ارتبكت مديرة الدار من تلك الزيارة المفاجئة فأمرت على الفور غحدى مساعداتها باطلاق سراح الأطفال الثلاثة وتنظيف ملابسهم ثم خفت الى استقبال الزائر متصنعه السرور بلفائه فابتدرته قائلة

- أهلاً وسهلاً بالزائر الكريم ثم سألته بظرف :
- هل لك سيدى فى كأس من النبيذ ؟ ان العرق يتصبب من جبينك فلا بد انك قادم من مكان بعيد ولعلك لا تدهش يا سيدى من وجود قليل من النبيذ فى دارنا فانى أضع منه قدر ملعقة أو ملعقتين فى

الحساء الذى أقدمه لأعزائى الصبية الثلاثة عندما يكونون بالبرد أو بشئ من اعتلال المزاج .

- فشكرها الزائر واعتذر عن الشراب وقال
- ان الطفل الذى اطلقنا عليه اسم اوليفر تويست قد بلغ اليوم التاسعة من عمره ولقد ذهبت مساعى المجلسأدراج الرياح فى محاولة معرفة اسم والديه وبيئتهما مع اننا رفعنا قدر المكافأة عن ذلك إلى خمسة عشر جنيهها فقالت المديرية :
- ولا أكتمك يا سيدى أنى أحب هذا الصبى حبا جما كما لو كان

انهما من لحمى ودمى فأنتى الموظف على عاطفتها الرقيقة وحنانها ثم قال : تعلمين يا سيدتى ان أوليفر قد بلغ من العمر حداً لا يسمح له فيه بالبقاء فى الدار ولقد قرر مجلس إدارة الملجأ ان يستعيد الطفل ويضمه الى خدم الملجأ وها أنا ذا قد جئت أنفذ قرار المجلس فعلى بالطفل فى الحال فنهضت المديرية وخرجت من الحجرة وهى تقول :

سمعا وطاعة يا سيدى سأتيك به فى الحال

وغابت المديرية لحظات ثم عادت ممسكة بيد اوليفر بعد أن اصلحت قليلا من هندامه فلما توسطت وإياه الحجرة قالت له يا اوليفر هذا السيد بمبل

فحياه الطفل تحيه طيبه فقال له هذا اريد أن تصحبنى يا أوليفر فقال الطفل

أسمح لى بذلك سيدتى المديرية ؟ فقال بمبل

لا أظنها تمانع فى رحيلك معى يا أوليفر ثم انها تستطيع ان تزورك حينما بعد آخر

وتضاربت عوامل الانفعال فى قلب الطفل الصغير فقد سره ان ينقذه الرجل من هذا الجحيم الذى يعيش فيه ولكنه وهو الطفل الصغير

كان اعجز من ان يتصنع الكآبة فتذكر الضربات التي تلقاها من المديرية قبل ان تحبسه فى قبو الفحم والحطب فانهاالت عبراته وأخذ يبكى وينتحب فطيببت المديرية خاطرة ولوسعته قبلاً ثم جاءتة ببعض الحلوى حتى لا يصل إلى الملجأ وهو يتضور جوعاًوسار الموظف بعد قليل بالطفل وخرجا معا من تلك الدار التي قضى فيها أوليفر تسع سنوات مملوءة بالبؤس والحرمان ولم يأسف إلا على فراق صديقيه الطفلين اللذين ربطته بهما أواصر الشقاء .

وصل بمبل بالطفل إلى الملجأ وسلمه إلى بعض العاملات فيه وعاد بعد ربع ساعة يقول للطفل ان مجلس ادارة الملجأ منعقد وقد بعثنى ادعوك إليه فحار الطفل فى أمره ولم يستطع عقله الصغير ان يفهم معنى مجلس الادارة وما ينطوى عليه فتوقع ان يناله منه الأذى والضرر فملاً الخوف صدره واستسلم للبكاء

على ان الموظف لم يترك له فرصة طويله للبكاء والعيويل فنقره بعصاه على ام رأسه نقرات خفيفة اعادت اليه رشده وأمره بأن يتبعه فوصلا
بعد قليل
إلى حجرة واسعة رأى الطفل فيها عشرة أشخاص ضخام قد جلسوا حول منضده طويلة يتوسطهم رجل أضخم منهم جميعاً مستدير الوجه منتفخ الأوداج قد جلس على مقعد اعلى من بقية المقاعد التى جلس عليها هؤلاء الرجال

ما اسمك ايها الصغير ؟

فسكت الطفل ولم يجب فان منظر هؤلاء الرجال العشرة قد أثار فى نفسه الرعب وكمم فمه فكال له الموظف الواقف خلفه بضع ضربات بعصاه على ظهره فازداد الطفل خوفا وأجهش بالبكاء فقال رجل من الرجال العشرة وكان يلبس صديريا أبيض:

انه طفل بليد ابله فقاطعه رئيس الجماعه وقال انت تعلم ايها الصغير
أن لا اب لك ولا أم وأن هذا الملجأ قد عنى بك وبتربيتك ؟ فقال أوليفر
: وهو يبكى بكاء مرا

نعم يا سيدى فقال الرجل ذو الصديرى الأبيض : ولماذا تبكى اذن
غريب ياناس شأن هذا الطفل ما الذى يبكيه ؟ فقال الرئيس : اعدناك
إلى الملجأ أيها الصغير اتستكمل تربيتك وعلومك ولتتعلم مهنة تنفعك
فى الحياة فقال الرجل ذو الصديرى الأبيض :

فى الساعة السادسة من صباح الغد تبدأ بتقشير البطاطس .

وختم المجلس اقواله مع الطفل عى هذا النحو ثم خرج الموظف
بالطفل واستودعه رجال الملجأ فقادوه إلى غرفة النوم الفسيحة
فارتمى على سرير غليظ فيها واستغرق فى نوم عميق

وصحا فى صباح اليوم التالى فانضم إى رفاقه فى الملجأ وبدأ يعمل معهم فى جد ونشاط وقضى على هذه الوتيرة نحواً من ثلاثة أشهر ناهضاً بما يطيق وما لا يطيق من الأعمال متغذياً باقل من القليل من الخبز والحساء فما كانت حاله فى الملجأ بأحسن منها فى الدار التى تركها.

وفى مساء يوم من الأيام بلغ الجوع مبلغه من أوليفر ورفقائه الصغار فاتفقوا فيما بينهم على ان يختاروا واحدا منهم ليطلب من الطباخ مزيداً من الحساء حينما يجمعهم فى غرفة الطعام ويوزع عليهم نصيبهم من ذلك القوت الذى لا يروى ولا يشبع فوقعت القرعة على أوليفر فنهض يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى وحمب قصعته بيده وذهب الى الطباخ وقال له وهو يرتجف من الخوف : سيدى هل لك ان تمنى على بقدر آخر من الحساء فكاد الطباخ يغمى عليه من الدهشة والاستغراب وعد هذا الطلب من الطفل الصغير جرأة ما بعدها جرأة

حتى إذا ما ثاب اليه رشده انطلق على بدانته وغلظة جسمه يخبر
موظف الملجأ بذلك الحدث العظيم فخف بمبل وهو لا يقل عنه دهشة
واستغراباً إلى مجلس الادارة وكان منعقدأً يصرف شئون الملجأ فدخل
على أعضائه بلا استئذان وصاح يخاطب الرئيس : سيدي ان الطفل
أوليفر قد طلب المزيد من الطعام فارتسمت على وجوه أعضاء
المجلس عند سماعهم هذا النبأ امارات الدهشة والاحتقار فقال الرئيس
يخاطب الموظف بمبل : أطلب مزيداً من الطعام بعد أن أكل النصيب
المقرر وفقاً للوائح المجلس ؟ فقال بمبل : نعم يا سيدي فقال الرجل ذو
الصديري الأبيض: ستكون خاتمة هذا الطفل حبل المشنقة

وتداول المجلس فى الأمر فقرر أولاً حبس الطفل أوليفر فى قبو الملجأ
وقرر ثانياً إصدار إعلان يعلق على باب الملجأ ويذكر فيه ان الملجأ
يمنح خمسة جنيهات لمن يعفى الملجأ من الطفل أوليفر ويتكفل بمأواه
وغذائه ويكون من حقه ان يلحقه لديه بأى عمل من الأعمال ؟

ونفذ قرار المجلس فزج بالطفل أوليفر فى القبو المظلم وعلق على باب الملجأ الإعلان الذى مجلس الادارة وانقضت أيام تسعة فلم يتقدم أحد لإعفاء الملجأ من ذلك الصبى النهم الأكل

وفى اليوم العاشر جاء إلى الملجأ رجل طويل القامة نحيف البنية قويها مفتول العضلات عابس الوجه وكانت صناعة الرجل دفن الموتى وصنع التوابيت فاستقبله موظف الملجأ وتبادل وإياه التحية فقبل الرجل ان يتكفل به ولكن اشترط ان يعيده الى الملجأ اذا بدا له لن العمل الذى يقوم به لديه لا يتكافأ وما سينفقه عليه من كساء وغذاء

وتمت الصفقة بين الرجلين ونهص صانع التوابيت مستأذناً فى الانصراف فودعه الموظف حتى الباب الخارجى للملجأ ووعد بان يعرض طلبه على مجلس الادارة فاذا وافق على ما لشرط ولا يخاله الا موافقا فسوف يأتيه هو نفسه بالغلام فى مساء ذلك اليوم

وعلم أوليفر تويست بمصيره فلم ينبس ببنت شفه فحمل صرة ملابسه
وكانت أخف من الظل وخرج من الملجأ فى صحية الموظف إلى
مكان جديد من أمكنة العذاب

وقبيل أن يبلغا حانوت الرجل شاء الموظف أن يلقي نظرة أخيرة على
الغلام ويتفقد ملابسه وهندامه فقال له :

اوليفر فقال الغلام بصوت ضعيف مرتجف نعم ياسيدى فقال بمبل لا
تنزل قبعتك حتى عينيك وارفع رأسك قليلاً

فقاطع الغلام قائده ومرر كفه على عينيه ليمسح عبرة سخينة ولكن
عقد الدمع انفرط من مآقيه فأخذ ينشج ويكي وهو يحاول عبثاً أن
يتجدد ويصبر على بلواه فحده بمبل بنظرة قاسية وقال له : بما رأيت
ولدا أشد منك انكارا للجميل إنك فقاطعته الغلام قائلاً وهو يمسح
عبراته :لا لا يا سيدى سأكون ولداً طبعاً رحماك ياسيدى إنى طفل

صغير قد نبذنى جميع الناس فليس من يرحمنى أو يعطف على
فناشدتك الله ياسيدى لا تغضب على

فأثر كلام الغلام فى قلب بمبل فتلطف فى الكلام معه وربت على
كتفيه ثم أمسك بيده وخطا به الخطوات القليلة الباقية دون حانوت
صانع التوابيت وكان قد اغلق حانوته نصف اغلاق وجلس يراجع
اوراقه فدخل عليه بمبل ومعه أوليفر فحياه وقال :

ها أنا ذا قد جئتك بالغلام

فرفع الرجل الشمعدان الذى أمامه وعلا به فوق رأسه ليلقى نظرة
صحيحة على الغلام القادم إليه ثم نادى زوجته من داخل الحانوت
فأقبلت مسرعة فلما رأت الغلام قالت :

الله ما أضعفه وأشد هزاله وفتحت المرأة بعد هذا الكلام بابا فى آخر
الханوت ودفعت الطفل إلى سلم ضيق ينزل منه إلى قبو صغير رطب

كانت المرأة قد جعلته مطبخاً تطهو فيه الطعام ثم نادى بأعلى صوتها خادمة لها تدعى شارلوت وقالت لها :

شارلوت قدمي لهذا الطفل فضلات طعام الظهر ثم ارجعيه غلينا فتلقفته الخادمة وقدمت له نصيباً وافراً من الطعام فنسى الغلام كل همومه وانكب على اللحم المطبوخ يزدرده بشهوة لا مزيد عليها فقلما كان قد ظفر حتى ذلك اليوم بوليمة كهذه الوليمة وخرج بعد ذلك من القبو وكان الموظف قد انصرف فقالت له ربة الحانوت: أن فراشك في صدر الحانوت فلا إخالك تخاف من النوم بين التوابيت وسواء خفت أم لم تخف فليس لدينا موضع آخر ترقد فيه .

وانصرف الرجل وزوجته والخادمة تاركين أوليفر المسكين في ذلك المكان الرهيب الذى يأنف ويفزع أن ينام فيه الرجال الشجعان بله الأطفال الصغار

وبقى الغلام قليلاً فريسة الهواجس والمخاوف تتراعى له الأشباح على ضوء الشمعة المتراقص ويخيل إليه أن التوابيت الموجودة فى الحانوت قد ارتمت عنها الأغطية وخرجت منها جثث الموتى بوجهها الشاحب وأيديها المعروقة فلم يتمالك نفسه عن الصياح ورد الصدى على صياحه فزاده فزاعاً وكاد يفقده صوابه وتحامل الغلام على نفسه وأهاب بشجاعته فمضى الى الشمعة وأطفأها وغطى عينيه براحتيه هرباً من رؤية الأشباح ومشى الى فراشه يتعثّر مرة وينهض مرة أخرى.

استيقظ اوليفر فى الصباح الباكر على صوت ضربات متلاحقة تنقض على باب الحانوت فنهض من فراشه ومشى تَوّاً إلى الباب فسمع صوتاً يصيح قائلاً : أفتح الباب ايها الحقيير فقال أوليفر تمهل قليلاً يا سيدى فالباب مقفل فقال الصائح اعرف ذلك ايها البله ولكن حسبك ان تشد المزلاج فينفتح الباب باشارة ذلك القارع الصائح فانفتح الباب فاذا

به يرى فتى يكبره بعدة سنوات ويقول له : أنت الغلام الجديد الذى
التحق بالعمل فى هذا الحانوت؟ ١٨

نعم ياسيدى فقال الفتى كم عمرك؟ فقال أويفر:

عشر سنوات ياسيدى فقال الفتى سنتال قصاصك أيها الدعى على
تاخرك فى فتح الباب

فاعتذر أوليفر للفتى وقال له فى دعه وتواضع : لعلك محتاج ياسيدى
الى تابوت من التوابيت فاستشاط الفتى غيظاً وعد كلام أوليفر مزاحاً
لايليق أن يوجهه إليه فقال له وهو حانق: انك ولا شك لا تعرف من
أنا أيها اليتيم الوقح أنا نوح العامل فى هذا الحانوت وأنت مرؤسى
ولاكله برجله ودخل إلى الحانوت وأقبلت فى تلك اللحظة الخادمة
شرلوت ورأت الرفسة التى كالمها نوح للغلام البائس فتهرته فقال لها :

ان هذا الحقير يتيم لقيط فهل تريدين ان نعامله معاملة أبناء الأسر
فقال شرلوت

انك فتى غليظ الكبد يا نوح هيا هيا تعاليا لأعد لكما طعام الفطور

وقضى اوليفر نحوال من شهر فى حانوت صانع التوابيت يقوم بما
يفرض عليه من عمل ويتحمل فى صبر عجيب ومضض شديد غلظ
الفتى نوح وشراسة خلقه وقارص ألفاظه

ونزل ذات يوم أوليفر ونوح معاً إلى المطبخ فى ساعة الغداء وكان
صاحب الحانوت وزوجته والخادمة غتنبين عن الحانوت فى تلك
الساعة فاعتنم نوح الفرصة وأخذ يتغالظ ويداعب أوليفر فى قسوة
مثيرة فتارة يشد له شعره وطوراً يقرصه من أذنيه وحيناً ثالثاً يخطف
نصيبه من الخبز واللحم وغلاننا صامت لا يتكلم ولا يتحرك فلما
رأى نوح ان مداعبته الثقيله لم تستفز زميله المسكين عمد إلى طريقة

أخرى لا يعتمد إليها إلا الأندال عندما يريدون لن يطعنوا محدثهم
طعنة تجرح عزة نفسه فقال له :

بأى داء ماتت أمك فقال أوليفر وكأنه كان يناجى نفسه بقدر قيل لى انها
ماتت يأساً وغماً وإنى لأدرك كيف يموت الناس من اليأس والغم
ولمخ نوح عبرة كادت تنهمر على خد أوليفر فغلب عليه الفرح وشرع
يدند ويصفر ثم قال وما الذى يبكيك أيها الأحمق؟

لاتظن انك انت الذى يبكينى فقال نوح ساخراً : من الذى يبكيك اذن
أذكراك لأمك ؟

لا لست انت الذى تبكىنى حسبك يا نوح وعد عن ذكر أمى فقال نوح
ممعناً فى صفاقته من حسن حظها أنها ماتت فلربما كان مصيرها
غياهب السجن أو حبل المشنقة

فاحتقن وجه أوليفر عند سماعه هذا الكلام ونهض عن كرسيه وانقض على نوح وأمسكه من عنقه وأخذ يهزه هزاً عنيفاً ثم صفعه صفعه شديدة على وجهه طرحته ممدداً على الأرض .

أما كيف تحول أوليفر الدمث الخلق الرقيق الشمائل الوديع الفؤاد إلى أسد هصور يريد ان يفتك بغريمه فلا يصعب إدراكه فان تقديسه لذكرى أمه وصون تلك الذكرى عن عن مطعن كل عابث غامز قد نفخ في قلبه الصغير روحاً من القوة والشجاعة غلبته على خصمه وتطلع نوح إلى أوليفر فلاح له الشر في عينيه فاخذ يزعق ويصيح :

الغياث المعونة انقذوني من المجرم أنقذوني من القاتل شرلوت سيدي سيدتى لقد أصيب أوليفر بالجنون إنه يهم بقتلى شرلوت.

وكانت ربة الحانوت والخادمة شرلوت قد عادتتا من بعض شأنهما فسمعنا الصياح فهرعتا إلى المطبخ وهالهما أن تريا نوحا منطرحاً

إلى الأرض وأوليفر واقفاً له بالمرصاد فهجمتا على أوليفر وطوقتاها بأذرعهما أولاً ثم كالتا له ضربات أليمة فتشجع نوح ونهض وهو يكيل أيضاً الرفس والركل للعلام الصغير .وأمرت ربة الحانوت أوليفر ان يبقى فى المطبخ وخرجت هى والخادمة ونوح إلى الحانوت وأقفلت باب المطبخ فما كادت تستريح قليلاً حتى قالت : والآن ما العمل يا شرلوت فليس فى الحانوت رجل يحميننا من بطش هذا الغلام وزوجى لن يعود قريباً اندعو رجال الشرطة ؟ فقال شرلوت : لا أميل إلى دعوة الشرطة وإنما أوتر أن ندعو موظف الملجأ الذى جاءنا بهذا الغلام فهو كفيل بتأديبه ثم ماذا لو انتظرنا سيدى زوجك ليرى رأيه فى هذا الغلام فقال ربة الحانوت : نعم المشورة فنحن الان فى مأمن منه مادام محبوساً فى المطبخ ولسوف اقترح على زوجى ان يعيده إلى الملجأ الذى جاء منه فمحال ان نترك بيننا ولداً شريراً مثله .

وهبط المساء ولم يعد صاحب الحانوت فاغلقت زوجته الدكان وانصرفت هي ونوح والخادمة وكان أوليفر قد لستمع إلى حديثهم وعرف انه لن يطلع عليه الصباح حتى يعود إلى الملجأ ويرجع إلى شطف العيش والجوع فاسودت الدنيا فى عينيه بعد ان كانت قد بدأت تبتسم له وتوفر له رزقه من خلال التواييت ودفن الموتى ٢٢

وغلب عليه الخوف فاستسلم للبكاء وعلى حين فجأة دار فى خلدّه خاطر ارتاح له فمشى إلى باب المطبخ وطفق يعالجه حتى انفتح ومضى منه إلى حيث يضع ملابسه فلفها فى صرته المعهودة ثم حمل الصرة وتلمس طريقه الى باب الحانوت فشد المزلاج وفتح الباب وخرج غلى فضاء الله الواسع وقد عزم على مغادرة المدينة إلى حيث توصله قدماه فراراً من ضرب أهل الحانوت وقسوة رجال الملجأ .

كانت الليلة مظلمة باردة ونجوم السماء مختفية غائرة فمشى أوليفر نحو ساعتين مبتعداً ما أمكنه الابتعاد عن الحى الذى عاش فيه مدة

شهرين على وجه التقريب ومر في سراه في إحدى الحدائق العامة فدخلها واستلقى إلى مقعد من مقاعدها الخشبية واتخذ من صرته وسادة وقرر فيما بينه وبين نفسه أن يقضى ليلته في ذلك المقعد ويستأنف المسير في الصباح.

ولم يكد الفجر يلوح بوجهه الوردى حتى نهض صلحينا الصغير من غفوته فحمل صرته وتابع سيره مخترقاً الأزقة والشراولع فبلغ بعد ساعات الطريق العاممشى فيه ساعات أخرى ثم أدركه التعب والجوع فجلس فوق حجر يتبلغ بكسرة من الخبز كان قد حملها معه ولاحظ له فوق الحجر الجالس عليه لافته تشير إلى أنه على بعد أربعين ميلاً من لندن فعزم ان يجعلها خاتمة مطافة

وبعد ان استراح قليلاً وأسكت عصافير بطنه بلقمة الخبز نهض يجد في السير بلا ملل ولا كلل حتى أدركه المساء فخرج على بعض

المزارع واستلقى عند كومة من الحشائش ونام نوماً عميقاً واستيقظ في الصباح وتابع سيره الى الوجهه التي تخيرها فوص لعد قليل إلى مدينة صغيرة فدخلها واجتاز شوارعها ودروبها وانتهى به المطاف إلى شارع كبير فيها فاخذ يجول فيه ويتفرج على حوانيته ودكاكينه فلمح على الرصيف الآخر من الشارع غلاماً فى مثل عمره يطيل النظر إليه ويتبعه عن بعد ثم رآه قد اجتاز عرض الشارع وجاء إليه وحياه وقال: ماذا بك ايها الرفيق؟ يلوح لى انك غريب عن هذه المدينة فحملك فيه أوليفر فرآه غلاماً شنيع المنظر قذر الثياب قد أمال قبعته إلى اذنه اليمنى حتى لتكاد تقع ووضع يديه فى جيبي سرواله وهو يشمخ بأنفه شأن كبار الرجال فرد أوليفر على تحيته والدمع يكاد يطفر من عينيه وقال انى متعب جائع وقد قمت برحلة طويلة فقال الغلام لا بأس عليك تعال معى وقاده الغلام إلى بعض الأزقة المتفرعة على الشارع الكبير وأدخله معه مطعماً حقير المظهر

وطلب له رعيفا كبيرا من الخبز وقطعه إضافية من اللحم المقدم
فانكب أوليفر يلتهم اللحم والخبز التهاما فلما فرغ من تلك المأدبة
الفاخرة قال له الغلام الغريب: أذهب أنت إلى لندن؟ فقال أوليفر:
نعم فقال الغريب

أديك فيها مسكن يؤويك؟ فقال أوليفر: كلا فقال الغريب: أتحمل معك
شيئاً من النقود؟ فقال أوليفر كلا فقال الغريب:

اعتمد على واطمن بالأفأنا ذاهب إلى لندن وأعرف فيها شيئاً يؤيك
بلا مقابل إذا قدمك إليه أحد معارفه وسأقوم بهذه المهمة ولعله بعد
أيام قلائل يجد لك عملاً ترتزق منه فتحسن حالك .

ومشى الغلامان في طريقهما إلى لندن وكلما جد أوليفر في سيره
استمهل رفيقه وأنهى إليه أنه لا يبغى الوصول إلى لندن قبل
منتصف الليل فكان له ما أراد وبلغ الغلامان العاصمة في الوقت الذي

حدده ذلك الغلام الغريب فلحظ أوليفر أن رفيقة يقوده فى أزقه لم ير أقدر منها ولا أحقر من بيوتها وأن الزقاق الضيق الذى وصلا إليه يبعث فى النفس الكراهيه والخوف فقد شاهد فيه على أبواب المنازل رجالا ونساءً يتقاذفون بالشتائم وهم سكارى فهم ان يغافل رفيقه ويهرب من تلك البؤرة ولكن سبق السيف العذل فى تلك اللحظة التى كانت تراوده فكرة الهرب دفع رفيقه جاك بيده اليمنى باب أحد المنازل وأمسك يد أوليفر باليسرى وتخطيا معاً عتبة الباب إلى رواق مظلم وطفق جاك يصفر صغيراً خاصا ولاح على اثر ذلك شخص يحمل فى يده مصباحاً فأثار الرواق المفضى الى سلم المنزا وقال : من هذا الذى فى صحبتك يا جاك فقال جاك عضو جديد يا شرلو فقال شرلو وكان غلاماً فى مثل عمر جاك من أين قدم ؟ فقال جاك : من بلاد السذج البلهاء هل الشيخ فاجن هنا أجل انه يرتب المناديل هيا اقبلا

وعاد شرلو بمصباحه إلى حيث كان وصعد جاك السلم وهو يقود وراءه أوليفر وانتهيا منه إلى غرفة قذرة يضيئها قنديل ضئيل وقد جلس فيها إلى مائدة الطعام يهودى عجوز متجعد الخدين بشع القسمات كث اللحية والشعر ٢٦

خاف أوليفر واضطرب ولام نفسه على انه انساق غير عامد إلى تلك البؤرة التي لا تبعث على الارتياح واجال طرفه فى انحاء الغرفة فرأى فى صدرها عدة أفرشة مدت على الأرض فراشا جنب فراش ورأى فى أحد الزوايا مجموعه من المناديل تراكم بعضها فوق بعض فذهل وندم وانتثله من ذهوله وندمه صوت جاك يقول : أقدم لكما صديقى أوليفر تويست

فضحك العجوز اليهودى ضحك القردة وقال

يسرنا ان نراك بيننا ياسيد أوليفر تعال وقاسمنا الطعام فلا بد انك جائع
أفسحا للضيف فى المكان وأهاب الجوع بالغلام أوليفر فجلس إلى
المائدة وهو لا يعى ما يفعل وأخذ يبتلع اللثمة تلو الأخرى ثم قدم له
اليهودى كأساً من الخمر وطلب اليه ان يشربها دفعه واحدة ففعل
وارتمى بعد قليل على فراش من الأفرشه وراح فى سبات عميق
صحا أوليفر فى صباح اليوم التالى من رقادته وكانت الضحى قد
ضربت أطنابها فأدار نظراته فى أنحاء الغرفة وعيناه شبه مغمضتين
فلم يجد الا اليهودى العجوز وقد جلس إلى المائدة ووضع عليها فنجانا
كبيراً من القهوة يرشف منه ذلك الشراب السود جرعة بعد جرعة

وراه بعد قليل وقد عمد الى الصفير والتغنى بكلمات متقاطعة ثم سمعه
يناديه باسمه فلم يجب أوليفر النداء فالنوم كان لايزال عالقاً بأهدابه
ولما أيقن العجوز أن أوليفر غير صاح نهض إلى خزانة محفورة فى
قلب الحائط ففتحها وأخرج من بعض أدراجها السرية علبة كبيرة

ركزها إلى المائدة وطفق يقلب محتواها بين أصابعه وعيناه تقدحان
بشرر الجشع والحذر.

وحدق أوليفر من ثنايا جفونه في ذلك الذى يقلبه اليهودى العجوز بين
يديه فإذا هو ساعات من الذهب مختلفة الأحجام والأشكال وخواتم
ومشابك وأسورة من الذهب المرصع بالألماس إلى غير ذلك من
الحلى والجواهر التى لم تقع عين أوليفر عليها قط قبل ذاك اليوم .

وتقلب أوليفر فى فراشه فاضطرب اليهودى اضطراباً شديداً وأعاد
الجواهر إلى علبتها بسرعة البرق الخاطف ثم وضع العلبة فى درجها
السرى من الخزانة وأمسك بسكين كبيرة ماضية الشفرة واستعد للدفاع
عن كنزه متوقفاً ان ينفتح عليه باب الغرفة ويدخل منه اللص الطامع
فى ثروته ولكنه أدرك فى الحال أن ليس فى الدار غريب مغتصب
فاستدار إلى أوليفر فرآه قد استيقظ وإن لم ينهض من فراشه فقال له

حانقاً مغضباً :ماذا تريد أيها الوقح ؟ لماذا كنت ترقبني؟ ماذا رأيت؟
أجب على الفور وإلا فقدت حياتك .

فقال أوليفر فى دعة ورقة بعد أن نهض من فراشة لم استطع النوم
أكثر مما نمت يا سيدى وعذرا إذا أنا از عجتك وأثقلت عليك

فأعاد اليهودى العجوز السكين إلى موضعها واستعاد لهجته العادية
وتظهر أنه إنما كان يعبث بالسكين ليس إلا واقترب من أوليفر وقال
له :إنما أردت أن أخيفك يا عزيزى فإذا بك فتى شجاع يا أوليفر ولكن
قل لى رأيت شيئاً مما تحويه العلبة ؟ فقال أوليفر : نعم يا سيدى .

فاصفر وجه اليهودى العجوز وصمت قليلاً ثم قال :إنها ثروتى إنها
الثروة التى ساعتمد عليها عندما أطعن فى السن وأبلغ من الكبر عتياً
يقولون إنى شحيح ولكن مكره أخاك لا بطل.

وسمع عندئذ وقد أقدام على السلم وما هي إلا لحظات حتى دخل الغرفة الغلامان جاك وشرلو فدعاهما اليهودى العجوز لتناول طعام الافطار وقبل أن يجلس القادمان قال لهما العجوز : لعلكما ذهبتما إلى العملوعدتما منه بصيد ثمين فقال جاك : عدت بمحفظتين منتفختين بأوراق النقد وهاكهما.

إنك بطل عظيم يجاك وأنت يا شرلو بماذا عدت؟

فقال شرلو :

بمجموعة من المناديل الثمينة وأخرجها من جيوبه.

نعما أيها العامل النشيط وأدار العجوز نظره إلى المناديل ثم قال إنها كلها مطرزة بأسماء من كان يحملها يجب نزع تلك الأسماء بإبرة رفيعة وسنعلم أوليفر كيف يقوم بذلك العمل .

وجلسوا جميعاً يتناولون طعام الإفطار ولما فرغوا منه شهد أوليفر اليهودى العجوز والغلامين يقومون معا بحركات غريبة مضحكة فقد رأى العجوز يضع علبة من علب الدخان فى أحد جيوب سرواله ويضع محفظة فى جيب آخر ثم رآه يضع فى جيب الصديرى ساعة مربوطة بسلسلة ولا تسل عن دهشة أوليفر عندما شاهد العجوز قد اعتمد على عصا وأخذ يتجول متسكعاً فى جوانب الغرفة كما يتسكع الناس الذين يمشون فى الشوارع ولا عمل لهم إلا الفرجة والتنزه فتارة كان يقف أمام الموقد وتارة أخرى امام الباب يجيل نظره فيه كأنه واجهه حانوت من الحوانيت وطوراً ثالثاً كان يتفقد جيوبه كمن يخشى اللصوص والنشالين وكانت حركاته تلك من الغرابة بحيث أضحكت أوليفر وكاد يستلقى على قفاه من شدة الضحك وكان الغلامان يتبعانه عن كثب وكانا كلما التفت العجوز إلى الوراء تواريا عن نظره بخفة ورشاقة حتى تقدم أحد الغلامين منه وداس على رجله

فى حين صدمه الآخر من الخلف وبأسرع من لمح البصر كان العجوز قد فقد كل مافى جيوبه من علبة الدخان والمحفظة والساعة حتى المنديل وعلبة النظارة وكرر هؤلاء الثلاثة هذه المسرحية مثنى وثلاث ورباع وأوليفر تتنازعه من ذلك المنظر عوامل الضحك والدهشة .

وبينما هم على هذه الحال وفدت عليهم فتاتان فى مقتبل العمر تدعى إحداهما يتسى والأخرى نانسى فأكلتا وشربتا ثم زودهما اليهودى العجوز ببعض المال فانصرفتا ومعهما الغلام جاك فالتفت العجوز إلى أوليفر وقال له : لقد ذهبوا ينتزهون ويمرحون فقال أوليفر: أفرغوا يا سيدى من عملهم فى هذا اليوم فقال العجوز : أجل ولكن إذا عرض لهم فى أثناء مرحهم عمل جديد فلن يتوانوا عن القيام به فلم يفهم الغلام المسكين شيئاً من هذه الأحاجى ثم سمع العجوز يقول له : تعال أعلمك كيف تنزع الأسماء من المناديل وخذ هذا الشلن جزاء

مقدما على عملك فأذعن الغلام لأمر العجوز وانكب على عمله بهمة ونشاط ولم يخامرهُ أى شك من الشكوك وبقي أوليفر عدة أيام لا يغادر المنزل حتى ضاق صدره واشتاق إلى الحرية والفضاء الواسع وكان اليهودى العجوز قد عهد إليه بنزع الأسماء من كمية كبيرة من المناديل لم يدر أوليفر من أين تهبط عليهم وكان قد أشركه أيضاً فى اللعبة التى يلعبونها فى صباح كل يوم فتوسم فيه الخير وقدره قدره من الذكاء والمهارة .

وسمح العجوز ذات يوم للغلام أوليفر بالخروج فى صحبة جاك وشرلو فسر سرورا لا مزيد عليه وعلل النفس بأن يذهباً به إلى عمل يعملهُ وهو حر طليق ويكسب منه رزقه الشريف .

وخرج أوليفر من المنزل يحيط به جاك وشرلو فسارا به من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق وهو لا يدرى إلى أين ينتهى به

المطاف ولقد كاد أوليفر يترك رقيقه على ما به من شوق إلى الحرية والتمتع برؤية الناس والدكاكين والمنازل ويعود إلى المنزل فراراً مما يقومان به من أعمال دنيئة لا ترضى بها النفس الشريفة فقد رأهما لا يمران ببائع ثمار أو دكان بديل إلا نشلا بعض الثمار وملأ بهما بها جيوبهما وبينما هو يفكر في أمره وأمرهما إذ سمع جاك يرقص طرباً في الشارع ويقول مخاطباً أوليفر: أترى ذلك الرجل الواقف تجاه تلك المكتبة على الرصيف المقابل من الشارع؟ فقال أوليفر: نعم أراه فقال جاك: إننا سنداعبه مداعبة لطيفة وعقب شرلو: إنه صيد ثمين فلم يفهم أوليفر من هذا الحديث شيئاً وقبل ان يستوضح رقيقه معنى كلامهما رأهما اجتازا عرض الشارع وذهبا يقفان وراء ذلك الرجل الذى أشارا إليه وكان قد تناول كتاباً من الكتب المعروضة فى واجهة المكتبة المكشوفة وشرع يطالعه بشغف ومتعة فلحق أوليفر برقيقه

حتى كاد يقترب منهما ولكنه وقف جامداً في مكانه لا يريم منه ولا يتحرك ذلك انه وقعت عينه على ما فعلا فاشمأزت نفسه اشمئزاً .

رأى جاك يمد يده إلى جيب الرجل ويسحب منه حافظة نقوده ويرمى بها إلى شرو ثم يتوارى اللسان في منعطف من المنعطفات ويطلقا سيفانهما للريح فانكشف في تلك اللحظة لغلاننا المسكين سر تلك اللعبة وما حوت من ساعات وخواتم وجواهر بل انجلى لعينيه سر الحياة التي يحيها ذلك اليهودى العجوز وأعوانه من الصبية والفتيات فوقف مسمراً في موضعه وهو أشد ما يكون ذهولاً وتقرزاً واحتقاراً فأطلق هو أيضاً ساقيه للريح دون أن يعي ما يفعل وشاء القدر أن يتفقد الرجل محفظته في تلك اللحظة فلا يجدها وأن يرى أوليفر يجرى بمنتهى قوته فوثق أنه السارق فجرى خلفه والكتاب في يده وهو يصيح اللص ادركوا اللص اقبضوا على اللص فركض كل من

سمع نداء الاستغاثة وما هي الا دقائق قليلة حتى أدرك الراكضون أوليفر وقبضول عليه.

واحق الرجل المجنى عليه بجماعة الراكضين وأخذته الشفقة بذلك الغلام البهي الطلعة البرئ النظرات المرتجف من الخوف فهم أن يطرح عليه بعض الأسئلة ولكن شرطى الحى كان أسبق منه إليه فأمسك بتلابيب أوليفر يريد أن يسوقه إلى مخفر الشرطة فتطلع إليه أوليفر خائفاً متوسلاً وقال : لست لأنا يل سيدى إنهما غلامان آخران صدقنى يا سيدى لا بد أن يكونا غير بعيدين من هنا فلم يحفل الشرطى بكلام أوليفر البرئ وساقه إلى المخفر ومشى معه نفر من أصحاب الفضول فلما وصلوا إلى المخفر تلقاهم رئيس الشرطة وقال متسائلاً : ماذا حدث ؟ فقال الشرطى وهو يشير إلى أوليفر : نشال صغير قبضت عليه يا سيدى الرئيس . فقد نشل محفظة نقود هذا السيد فقال الرجل يخاطب رئيس الشرطة : على أنى لا أقطع بأنه هو السارق يا

سيدي الرئيس ولعله من المستحسن حفظ الموضوع حتى لا نطمع هذا الغلام اذا كان بريئاً وعضى على الله عما فقدت من نقود فقال رئيس الشرطة :

لا يغرنك يا سيدي هذه البراءة والسذاجة التي يتظاهر بها هذا الغلام فالعدل يجب ان يجرى مجراه ثم أمر رئيس الشرطة بأن يساق ٣٦ الغلام إلى قاضى التحقيق وطلب من الرجل المجنى عليه أن يذهب هو أيضاً إلى قاضى التحقيقات ووجه إليهم الأسئلة اللازمة ومال إلى كاتب الجلسة وطلب إليه أن يعد نص الحكم على الغلام بحبسه ثلاثة أشهر مع الشغل فأعد كاتب الجلسة الحكم المطلوب وهم بالنطق به ولكن حال دون ذلك رجل مهول إلى قاة الجلسة وهو يصيح بألعي صوته :

على رسلكم يا قوم فهذا الغلام ليس السارق فتطلع عليه قاضى التحقيقات مدهوشاً من تدخل هذا الغريب فقطع عليه الرجل دهشته حين قال : أنا صاحب المكتبة التى كان السيد واقفاً إلى واجهتها يقرب في ما أمامه من كتب فرأيت ثلاثة غلمان ومنهم هذا الغلام يتسكعون على الرصيف المقابل لمكتبتى ثم رأيت اثنين منهم غير هذا الغلام يقتربان من السيد الذى كان مشغولاً بالقراءة وينشل واحد منهما محفظة نقوده ويرمى بها إلى زميله وبعد ذلك طار الغلامان وتواريا عن الأنظار ورأيت كذلك الدهشة التى ارتسمت هلى وجه هذا الغلام الذى قبضتم عليه فقال له القاضى : ولماذا تأخرت فى المجئ والإدلاء بأقوالك ؟

لم أجد أحداً أكل اليه حراسة المكتبة فجميع الناس كانوا قد جروا وراء السارق وحلما عثرت على أحد يقوم بالحراسة هرعت إليك يا سيدى القاضى.

وصمت القاضى برهة ثم نطق ببراءة الغلام فخرج الناس من قاعة الجلسة وما كاد أوليفر يغادر القاعة إلى صحن البناء حتى سقط مغشياً عليه فسارع إليه صاحب المحفظة المفقودة يقلبه من سقطته فرآه فاقد الوعي فطلب قبيلاً من الماء فرشه به عبي وجهة أففاق ولما تفرس الرجل فى وجه أوليفر ملياً قال فى نفسه رباه ان هذا الوجه غير غريب على فأين رأيتة قبل اليوم؟ وبدأ الرجل يستعرض فى ذهنه وجوه من يعرف من الناس وله شئ من الشبه مع وجه الغلام فلم يتوصل إلى العثور فى لوح خيلبه على الشبيه ثم ضيق حلقة التشبيه وكاد يرى فى وجه الغلام شخص كان فيما مضى حبيباً إلى فؤاده ولكنه طرد هذه الفكرة من مخيلته وعاد يعتنى بالغلام فأنهضه وحمله إلى مركبة من مركبات الأجرة وسار به إلى منوله وهناك أمر مديرة المنزل بإعداد سرير للغلام فوضع فيه وراح فى غيبوبة من الحمى .

مكث أوليفر مدة أسبوع طريح الفراش لا يعى شيئاً حوله حتى إذا فارقتة الحمى ودب اليه وعيه شيئاً فشيئاً تساءل ذات صباح قائلاً: أين أنا ومن ذا الذى جاء بى إلى هنا؟ فسمع صوت سيدة طاعنة فى السن كانت جالسة قربه منه تقول له: لا تتكلم يا ولدى ولا تتحرك كثيراً فالمرض قد يعاودك هذه وصية الطبيب الذى داواك إنك هنا فى منزل السيد براون وهو بك شفيق رحيم إنه الآن غائب عن المنزل وسوف يسره متى عاد ان يراك فى صحة جيدة .

فشكرها أوليفر كل الشكر وأطنب فى شكره وأسهب حين جاءته بقدر من الشراب المنعش فشربه مسروراً .

وفى مساء ذلك اليوم جاءته بقصه مملوءة من الحساء الساخن اللذيذ وإلى جانبها إناء مملوء كذلك بالحساء فنظر أوليفر إلى القصعة والإناء وقدر أن الحساء الذى فيهما يكفى ثلاثمائة فقير من أمثاله

فشرب الحساء مريضاً وأكل هنيئاً مما كان مع الحساء من خضر ولحم الدجاج هذا والمديرة العجوز هانئة مسرورة باقبال أوليفر على الطعام بشهوة ورغبة ثم رآته يحدق طويلاً في صورة زيتية معلقة على الحائط فقالت له

أتحب التصوير الزيتي يا عزيزي؟ فقال أوليفر: لست ادرى يا سيدتي فقلما رأيت مثل هذه الألواح في حياتي غير أن وجه الفتاة المرسومة في هذا اللوح يبدو لي انه يشع بالجمال والحنان فهل تشبه احداً في أسرة هذه الدار يا سيدتي؟ فقالت المديرة العجوز: لا يا عزيزي فقال أوليفر: إنم عينيها تفصحان عن الكآبة ويخيل الي انها تحدق إلى وتريد أن تكلمني فقالت المديرة: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته يا ولدي وفي هذه اللحظة دخل السيد براون واقترب من سرير أوليفر مستفسراً عن صحته فقال له أوليفر: أرجو ألا تكون مستاءاً مني يا سيدي فضحك السيد براون ولاحظ منه التفاته إلى صورة الفتاة

المعلقة على الحائط ثم وزع نظراته بينها وبين أوليفر فقال يخاطب
مديرة المنزل : يا لله من هذا الشبه الغريب ثم انصرف مسعاً فقد
حركت الصورة في نفسه لواعج الشجون

عاد جاك وشرلو إلى منزل اليهودى العجوز فلما رأهما اثنين لا ثالث
لهما احتدم غيظاً وصاح فيهما قائلاً: أين أوليفر؟ فجزع الغلامان من
مكنظر ذلك الوحش الجاحظ العينين والتزما الصمت فانقض اليهودى
العجوز على جاك وامسك بتلابيبه وقال: ماذا جرى له؟ فقال جاك وقد
استرد بعض وقاحته وشجاعته : لقد وقع فى الفخ ولكن هلا تركتني
أتنفس ؟ فدوى صوت العجوز هائجاً مزمجرأً وهو يقول : أيها الشقى
وقبل أن يتم كلمته فتح باب الغرفة وسمع صوت جهورى يقول :
ماهذا الرعد القاصف فى هذه الغرفة؟

وكان المتكلم الداخل على هؤلاء الناس رجلاً فى عنفوان الرجولة يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر ويدل مظهره على الحبث والإثم والإجرام فقال له اليهودى وهو يرتجف : خفض من صوتك يا سيكو انتظرنا يخبرك جاك بما حدث . فروى جاك على طريقته قصة اوليفر وقصة القبض عليه فقال اليهودى العجوز : وأخشى ما أخشاه أن يكشف أمرنا ويثير لنا المشاكل فقال سيكف فى ابتسائه خبيثة: قد يكون ذلك ها أنت ذا قد بدأت تعلق بالشرك يا عزيزى فاجن فقال العجوز: إن وقوعى فى الشرك قد يجرك إليه يا عزيزى سيك فلو عرفت جرائمك لما كان مصيرك إلا السجن المؤبد أو حبل المشنقة.

فتطير الشرر من عيني سيك وخيم الصمت على المجتمعين بضع دقائق فقطع سيك حبل ذلك الصمت وقال يهمنى ان نعرف أولاً ماذا حدث فى مخفر الشرطى وأين الغلام الآن .

فأمن العجوز اليهودى على هذا الرأى وأخذ يفكر فيمن يقوم بهذه المهمة فتبسم لما رأى باب الغرفة يفتح وتدخل منه الفتاتان اللتان كان أوليفر قد رآهما فى ذلك الوكر فبعد الوعد والوعيد رضيت الفتاة نانسى ان تقوم بتلك المهمة فرفدها العجوز ببعض المال على سبيل المكافأة فحيت الحضور وغابت ساعة أو ساعتين ورجعت بتفاصيل ما جرى للغلام أوليفر وكيف خرج من المخفر وهو مغمى عليه يحمله صاحب المحفظة وليس من يعلم اين يقطن هذا الرجل .

فطار صواب اليهودى العجوز وقام يوزع بعض المال على أفراد عصابته وطلب اليهم أن ينصرفوا جميعاً ويجدوا جميعاً فى البحث عن الغلام أوليفر وأوصاهم أن يذهبوا به عندما يجدونه إلى المسكن الثانى اما هو فسيكون فى الحانة التى تعود أن يتردد عليها فإن اتفق أن كانوا فى حاجة اليه فليقصده فى تلك الحانة.

انقضى ذلك اليوم عيبى غير طائل فما استطاع أحد من أفراد العصابة أن يعرف مقر الغلام أوليفر وانقضت بد ذلك أيام كثيرة فما أجدى البحث عن الغلام فتياً حتى جاءت الفتاة نانسى ذات مساء وأنهت إلى رفقتها بالنبا الذى وقفت عليه فقد عرفت منزل الرجل الذى سرق جاك محفظته وعرفت اسمه فهو يدعى براون وعلمت كذلك ان أوليفر مقيم فى منزلا الرجل وأنه قضى نحواً من أسبوع طريح الفراش يعانى سكرات الحمى وأنه الآن قد تماقل للشفاء فهو هانئ سعيد فى ضيافة السيد براون يجول فى أنحاء المنزل ويتنزه أحياناً فى الحديقة وتعتنى به مديرة المنزل عناية فائقة وتوفر له اشهى ألوان الطعام وتكسوه بأجود الملابس.

فرح اليهودى العجوز لدى سماعه هذه الأنباء فمن السهل الآن وقد عرفوا مقر الغلام أن يتصيدوا الفرص لا ختطافه والعودة به الى وكرهم القدر وبحثت العصابة فى أمر خطف الغلام وعهدت به الى

الفتاة نانسى وطلبت من سيك ان يساعدها فى هذه المهمة فأذعن كل منهما للأمر واتفقا معا على تدبير خطة محكمة فى هذا السبيل وأوصاهما اليهودى العجوز بأن يذهبا بالغلام إلى المنزل الثانى فسوف يتخذه مباءه له هو والعصابة حتى يجد الغلام وسوف يوزع وقته بين ذلك المنزل والخانة التى يؤثرها على غيرها من الحانات .

ومنذ صباح اليوم التالى بدأت الفتاة نانسى والفتى سيك يدوران حول منزل السيد براون وحول الحديقة المحيطة به لعلهما يريان الغلام فى ساعة من الساعات وحيدا فى الحديقة فيصدها صيد السماك ويطيرا به الى منزل اليهودى العجوز .

وقضى المتربصان عدة أيام فى اللف والدوران حول مسكن السيد براون فما وقعت اعينهما على ضالتهما المنشودة فى أرجاء الحديقة إلا مصوباً بالسيد براون صاحب المنزل أو بالسيدة مدبرته فحال

وجود أحدهما مع الغلام دون تنفيذ خطة الخطف تنفيذا سهلاً هيناً بغير
جلبة ولا ضوضاء وكان سيك قد صحب معه فى هذه المهمة كلبه
المحبوب وهو كلب ضخم الجثة قبيح المنظر متحفز للوثوب عند أول
إشارة يثيؤ باه سيده فكان سيك يدارى ما يساوره من السأم والملل
بمداعبة كلبه حيناً بعد حين.

وطالت أيام الترقب والانتظار حتى كاد اليأس يدب إلى قلب هذين
الأثيمين وحتى كادا يرجعان من مهمتهما بخفى حنين فحدث عن
دهشتها وفرحهم ولا حرج حينمت شاهدا الغلام فى أصيل أحد
الأيام يخرج من المنزل متأبطاً عدداً من الكتب ويركض ما وسعه
الركض متوجها إلى الشارع العمومى فتفاهما بالإشارة على أن يتركاه
حتى يبتعد عن المنزل ثم ينقضا عليه فيلحقا به من بعيد دون أن يفقدا
أثره وهما يسائلان النفس ما شأن الغلام ؟ وعلام يركض هذا الركض
؟ وإلى أين يجرى بالك الكتب التى تأبطها؟ وجليه الأمر أن السيد

براون كان يراجع بعض الكتب القديمة ف مكتبته بالمنزل فرأى أن يعيد قسماً منها إلى صاحب المكتبة التي كان واقفاً إزاء واجهتها يقلب أسفارها يوم سرقت منه محفظة نقوده وأن يستبدل بها غيرها فلما وافق أوليفر على رغبة المحسن إليه أراد أن يوفر عليه عناء الذهاب إلى المكتبة فطلب إليه أن يطلفه باداء تلك المهمة ووعده أن بأن يعود من قضاء مهمته أعجل ما يكون فقبل السيد براون عرض الغلام بعد تردد غير قصير ولعله أراد أن يستنشق أوليفر من نسيم المدينة بعد أن طال مكثه في البيت مريضاً.

وعلى هذا رأينا أوليفر الكريم الخلق الرقيق الشعور يغادر دار السيد براون راكضاً إلى غايته وهو سعيد بأن يخدم الرجل الذى رعاه وأواه وعطف عليه ولكن القدر القاسى كان له بالمرصاد فلم يدر أية مصيبة تنتظره بعد خروجه من بيتكافله وراعيه .

كان هم أوليفر أن يمضى إلى صاحب المكتبة ويستبدل بالكتب التى تأبطها الكتب التى يرغب السيد براون فى الحصول عليها ويعود سريعاً إلى الرجل الحنون الكريم بما طلب وابتغى غير أن تلهفه إلى الاسراع جعله يخلط بين بعض الأزقة والدروب فعندما اجتاز الشارع الكبير وأراد أن ينعطف منه إلى الطريق المؤدى إلى المكتبة التى يقصدها حدثه العجلة إلى أزقه ضيقة اكتظت فيها المنازل الحقيرة فدهش وتعجب وأدرك أنه ضل الطريق فهم بأن يعود على أعقابه بحثاً عن الطريق الصحيح ولكن سرعان ما شعر بذراعين تطوقانه وصوت ناعم يقول له : أخى الحبيب أه يا أخى الحبي لقد عثرت عليك بعد طول الغياب كيف طواعك قلبك أن تهجر أمك وتتركها تذرف الدمع السخين على فراقك تعال معى يا أخى الحبيب إن أمنا سيقبهما الفرح ويقعدها بلقائك .

سمع أوليفر هذا الحديق فمت فهم منه شيئاً فأية أم هجرها وتركها بعده
حزينة القلب دامعة العين ؟ فاستدار بعد جهد ومشقة ليعرف من هذه
الفتاة التي تطوقه بذراعيها زتحسب أنه أخوها فوق بصره على الفتاة
نانسى وكانت قد لحقت به إلى ذلك الزقاق الضيق بعدما تعقبته منذ
خروجه من منزل السيد براون فاضطرب اضطراباً شديداً وحاول ان
يتملص منها وهو يقول : دعيني يا نانسى أذهب لشأنى فانى مكلف
بقضاء مهمة عاجلة فقالت له وهى تصيح با
على صوتها : لا لا أتركك إن أمنا ستموت حزنا على بعادك ولكن ما
هذه الكتب ومن أين سرقتها ؟ وقبل ان يجيبها اصطكت ركبته فزعا
ورعبا عند رؤيته الفتى سيك وكلبه المتوحش وهو يحاول أن ينقض
عليه ويمزق ثيابه فأخذ يصيح خائفا ويبيكى بكاء مرا وكان نفر من
السفلة والرعاع قد تجمعوا حول هؤلاء الثلاثة فازدادت نانسى صياحا
وهى تقول : ساعدونى يا قوم على هذا الولد الطائش إنه أخى ولكنه

شريد أبى ثم أشارت إلى سيك قائلة وهذا اخونا الكبير سلوه يجبكم
عن موبات هذا الأر عن اللعين وكأنما ثارت الحمية فى نفس سيك
ف

أقبل على الغلام يصفعه وهو يقول له :

إلى المنزل أيها الأحمق وإلا وأدبتك شر تأديب وصدق الرعاع
تلك الرواية فعدوها مهزلة عائلية دون أن يعلموا ما تنطوى عليه من
مأساة فانصرفوا بعد قليل إلى شئونهم وهم يقولون ماذا على الأخ
الأكبر لو أدب اخاه الأصغر .

وأقفر الطريق من السابلة والمارة فأيقن اويفر من سوء المصير
ووثق من أنه لا فائدة ترجى من الصراخ والاستغاثة فاستسلم لمشية
الأقدار وسمع سيك يقول له مهدداً ضع يدك فى يد نانسى وسر معها
إلى حيث تقودك وسأتبعكما عن كتب فإن حاولت الهرب أو التفوه

بكلمة أطلقت عليك كلبى الضخم فمزقك تمزيقا أسمعت أيها الوقح فأذعن أوليفر المسكين البائس لأوامر ذلك الرجل الغليظ الكبد ومد يده اليسرى إلى نانسى فأمسكت بهاوسارت به فى صمت وسكون فمازالت تلك القافلة تسير من طريق قنر إلى طريق أقنر ومن زقاق ضيق إلى زقاق أضسق حتى زصلت بعد نصف ساعة إلى منزل متهدم يبدو عليه أنه خال من السكان فطرق سيك الباب ثلاث طرقات فانفتح على الفور وتقدم سيك وهو إلى الدهليز يصيح : تحية وسلام.

وما هى إلا ثوان حتى برز الغلام جاك فى الدهليز وبيده مصباح خاغت الضوء فأثار السبيل للقادمين فوصلوا بعد قليل إلى غرفة فسيحة فهب إلى لقائهم اليهودى العجوز والغلام شرلو فرحب أهل البيت بهم ترحيبا جميلا ومان اليهودى العجوز يفرك يديه تارة ويداعب لحيته تارة أخرى وهو فرح بمقدم أوليفر .

وبدأت النكات والدعابات الثقيلة تنهال على أوليفر وهو صامت ذاهل

يندب فى نفسه حظه الأنكد الذى عاد فرماه فى مخالاب أولئك الوحوش وكان أكثر ما يحز فى صدره حكم السيد براون عليه عندما يترقب عودته فلا يراه فسوف يرميه ولا شك بالخيانة والاحتيال .

كان أوليفر يفكر مثل هذا التفكير النبيل حين أخذ الغلامان جاك وشرلو يز عجانه بأقوالهما الغليظة فمن قائل له وهو يتحسس ملابسه : ويحك أنى لك هذه البذلة الجميلة ومن هازئ به وهو يشير إلى الكتب التى يتأبطها بويقول : لقد أصبح صاحبنا عالماً من العلماء هيا حدثنا عن محتوى هذه الكتب اللهم إلا أن تكون قد سرقتها فلن تفقه فيها شيئاً هاتها أيها اللص فما شأنك أنت والكتب ؟ وهجم عليه وجرده من تلك الكتب فارتى أوليفر عند قدمى اليهودى العجوز وقال له متوسلاً : يا سيدى إن هذه الكتب ملك السيد الكريم النبيل الذى بوانى ودلاولانى وأطعمنى وكسانى فبأنه عليك إلا أرجعتها إليه حتى لا يظن بى الظنون

وقهقه العجوز ضاخكا ساخراً وضحك معه سيك والغلامان وقدمت فى تلك الأثناء الفتاة بتسى من الخارج دون أن تشعر أحداً بقدمها لكبضى لها الدهليز فقد كانت معتادة على السير فى الظلام فالتفت الحاضرون إليها ونسيت أن تقفل باب الغرفة فاغتنمها أوليفر فرصة ثمينة وطار الى الباب وخرج منه وهو يصيح : المعونة المعونة أدركونى ياناس أغيثونى من هؤلاء الشياطين وجرى اليهودى العجوز والغلامان وراء أوليفر وهم سيك أن يطلق كلبه عليه فحالت نانسى دون ذلك ووقفت بينه وبين الكلب وهى تقول: لا لن يخرج الكلب من هنا حرام عليكم تعذيب هذا الغلام المسكين

فانقض سيك عليها ودفعها عن الباب دفعة قوية رمتها فى زاوية من زوايا الغرفة فنهضت تريد أن تتأر لنفسها من سيك ولكن الباب فتح فى تلك اللحظة ودخل منه اليهودى العجوز والغلامان وهم يدفعون أمامهم أوليفر فنظرت إليه نانسى فرأته شاحب الوجه مرتجف

الأوصال فاستيقظ فيها الضمير الحى وندمت أشد الندم على الجريمة التى ارتكبتها فى إعادة أوليفر إلى هذه البؤرة من الفساد واللصوصية .

ولقد كادت تفقد وعيها عندما رأت اليهودى العجوز قد تخلى عن أوليفر قليلاً ومضى إلى بعض زوايا الغرفة وعاد منها بعصا غليظة وأهوى بها على أوليفر وهو يقول له : أكنت تريد أن تهرب فتجمع علينا رجال الشرطة والجيران أيها الحقير ؟ فتقادى المسكين الضربة حينما هجمت نانسى على اليهودى العجوز كاللبؤة فقدت أشبالها فجردته من عصاه ورمتها فى الموقد وتحفز سيك ليؤدب الفتاة نانسى فرده العجوز اليهودى وقال دعها فسوف يعود إليها رشدها وينقذها من ثورة نفسها ومن صوت الفضيلة التى تهتف بها .

وأشار العجوز إلى الغلام جاك أن يقود أوليفر إلى بعض الغرف المظلمة فى المنزل ويقفل عليه الباب ففعل ورأى فيها أوليفر فراشاً معداً فانطرح عليه وهو متعب مثقل من الغم والإعياء فأخذته سنة من الكرى فنام نوما عميقاً .

انتظر السيد براون على أحر من الجمر رجوع أوليفر من المهمة التى أوكله بها ولكن طال انتظاره دون جدوى ومرت الساعة تلو الساعة حتى انتصف الليل فأوى إلى فراشه مهم قلق نادم على أن سمح للغلام بالخروج وحده فى مثل تلك الساعة التى خرج فيها .

ولم يقطع السيد براون ولا مديرة المنزل الأمل فى عودة أوليفر إليهما فكانا كلما قرع قارع باب الدار هرع كل منهما إلى نافذة من النوافذ وهما يأملان أن يكون القادم إليهما أوليفر الحبيب فخاب فألهما غير مرة وطويا قلوبهما على المرارة والأسى .

وانقضى أسبوع على غياب أوليفر فقطعا عندئذ كل أمل فى رجوعه وساورت نفس السيد براون الوسوس فنشر فى إحدى الصحف إعلاناً يمنح فيه خمسة جنيهات لمن يدلّه على أخبار غلام فى نحو العاشرة من عمره يدعى أوليفر تويست عاب عن منزله منذ أسبوع ثم ضمن الإعلان وصفاً إضافياً لصفاته الجسمانية .

وفى صباح اليوم التالى الذى نشر فيه الإعلان كانت احدى مركبات السفر العامة قد وصلت إلى باب من أبواب لندن فتوقفت قليلاً للاستراحة ونزل منها بعض الركاب يتمشون قليلاً بهد طول الجلوس وكان من بينهم السيد بمبل موظف الملجأ الذى عرفناه فى مستهل القصة فمر به أحد باعة الجرائد فاشترى منه صحيفة من صحف الصباح وشره يطالعها فاستوقفه الإعلان عن أوليفر فقرأه عدة مرات وعمد إلى نظارته فمسحها مرة بد أخرى وركظها على عينيه تركيزاً محكما وأعاد قراءة الإعلان ودقق طويلاً فى الأوصاف المنشورة عن

الغلام فوثق كل اللثقة بأن أوليفر هذا هو أوليفر الذى يعرفه فلما وصلت المركبة إلى وسط المدينة عدل عن الذهاب إلى المكان الذى كان يقصده فيها لقضاء بعض شئونه وتوجه توا إلى منزل السيد براون فسارع هذا إلى استقباله ولحقت به مديرة المنزل عندما علما أن المقبل عليهما إنما جاء يحدثهما عن الغلام أوليفر.

تبادل القوم تحية الصباح فى عجلة ولهفة ثم استهل السيد براون الحديث فقال : قلت يا سيدي إنك جنئت تحدثنى عن الغلام أوليفر بعد أن قرأت الإعلان الذى نشرته عنه فقال بمبل : نعم يا سيدي فقال السيد براون : لست أعلم مقره ولكنى استطيع ان ازودك عنهة بأنباء وأخبار لا يعرفها غيرى فتململ السيد براون وتملمت معه مديرة المنزل وقد كانا يطمعان فى أن يعرفا مكانه فيذهبا إليه ويعودا به إلى كنفهما غير أن السيد تذرع بالصبر وقال : هات ما تعرف عنه يا سيدي فقال بمبل : وقد اعتدل فى جلسته بعدما رشف آخر جرعة من

القهوة والحليب : أوليفر هذا غلام يتيم مجهول الوالدين وأغلب الظن الآن والديه ينتميان إلى اسرة فقيرة لا تقيم للفضية والأخلاق وزنا فهما من بيئة يعيش فيها الشر والفساد والرذلة فغشيت أعين السيد براون ومديرة المنزل غشاوة من الحزن والاستغراب فاستأنف بمبل حديثه قائلاً ولد أوليفر فى ملجأ البر والاحسان وأنا الذى أطلقت عليه اسم اوليفر تويست ثم عهدنا به إلى دار رعاية الطفل حتى بلغ التاسعة من عمره وكان فظ الأخلاق بليدا كسولا نهما لا يتورع عن الاعتداء على الأطفال من زملائه اليتامى فاستعاده الملجأ واستودعه أحد الصناع الكرماء ليلقنه مهنة يكسب بها رزقه فتشاجر ذات يوم مع عامل من عمال ذلك الصانع الذى آواه ومأطعمه فكاد يقتله وهرب ثم هرب تحت جناح الظلام خوفا من العقاب وانقطعت أخباره عنا

وكانما اكتفى السيد براون بما سمع فنقد الرجل الجنيهاً الخمسة التي وعد بها في الإعلان فقبضها بمبل واستأذن في الانصراف فودعه السيد براون حتى باب الحديقة .

أما أوليفر الذى دار الحديث عنه فكان فى ذلك الصباح جالساً إلى الغلامين جاك وزشرلو وهما يغريانه بالإذعان لمشية اليهودى العجوز والانخراط فى سلك العصبة التابعه له حتى تصلح حاله ويتوفر المال فى جيبه ويعيش عيشة العز والسعة وإلا بقى طيلة حياته فقيراً ذليلاً متسولاً وأراد جاك أن يمعن فى إغرائه فطفق يذرع الغرفة ويده اليمنى فى جيبه تعبت بما فيها من نقود فنظر إليه أوليفر نظرة المشمئز وقال :أتفخر بمال جاك عن طريق السلب والسرقة فقال جاك وقد لأشعل لفافة من التبغ : لو لم اكن حقيقاً به لما جئنى وعلام يشقى الانسان ويتعب اذا هو استطاع ان يحصل على المال عن طريق هين سهل فقال أوليفر ولكنه مال حرام فقهه جاك وشرو معا

من سذاجة أوليفر وسلامة طويته ودخل عليهما اليهودى العجوز وهما
يضحكان فأنهيا إليه حديثهما وحديث أوليفر فأمن على كلامهما ولأخذ
يقص على الغلمان أنباء بطولته فى أيام الحداثة والشباب وكيف كان
يتفنن فى النشل والسرقه حتى جمع ثروته وكان هذا العجوز منذ
صباح الليلة التى أعيد فيها أوليفر إلى وكر اللصوص قد أخذ يتلطف
فى حديثه مع اوليفر ويغمره بعطفه ورعايته ويقدم له اطيب الطعام
ويسرد على مسامعه العظة تلو العظة فى محاسن السرقه وما تجلبه
على السارق من رفاة العيش ورغده ولكن أوليفر كان يعير أذانا
صماء ويترقب اليوم الذى يستطيع فيه أن يهرب من ذلك الجحيم
ولكن هيهات فقد كانت الحراسة شديدة عليه حتى لو اراد أن يمكر
بالعجوز ويتظاهر بثبول عرضه وإغرائه . وعاد اليهودى العجوز إلى
محادثة أوليفر ثم أمر الغلامين جاك وشرلو بالخروج إلى عملهما
ووعدهما بالجزاء الأسنى لو أتياه بعدد من الساعات الذهبية والخواتم

فخرجا هانئين سعيدين فلما انفرد بالغلام أوليفر قال له : لتصبحن رجلاً عظيماً لو سمعت نصحى وعملت بارشادى فقال له أوليفر متوسلاً ناشدتك الله يا سيدى إلا تركتنى وشأنى وأطلقت سراحى إن نفسى لا تطاوعنى على النشل والسرقة ولو شئت أن اقهرها عليهما ما استطعت ولو تمرنت عليه العمر كله فضحك العجوز حتى بدت نوالجذه وقال أنصحك بأن تكون رهن إشارة الفتى سيك وأطوع له من بنانه فهو كفيل بأن يدربك خير تدريب .

وكاد أوليفر أن يعرب عن خوفه من سيك ورأيه الصريح فيه لولا أن دخل سيك عليهما فجأة فحياهما تحية مبتسرة فرد العجوز على تحيته بمثلها وقال يخاطب أوليفر : اتركنا وحدنا قليلاً يا ولدى واقض بعض الوقت فى الغرفة الملاصقة ولا تطمع فى الهرب فأنت تعلم أن ليس لها من منفذ غير هذا الباب الذى تراه فى أقصى هذه الغرفة .

فمتثل أوليفر لمر العجوز فلما خلا الجو للأثيمين قال العجوز : متى قررت الهجوم على المنزل الذى طلبت منك أن تسرقه ؟ فقال سيك : فى ليل غد فقال العجوز :

سأرسل معك أوليفر وسيكون لك عوناً ثمينا فأنا أعرف ذلك المنزل كل المعرفة فحسبك أن ترفع أوليفر ، أى الكوة الصغيرة فينفذ منها إلى داخل المنزل ويفتح لك الباب فتدخل منه لأنك وصاحبك اللذان اخترتهما فقال سيك : لست أدري لماذا تصر على ضم هذا الغلام إلينا مع ما هو عليه من عناد ومكابرة فلو هرب منا مرة أخرى لم نأمن من أن يشى بنا ويكشف أمرنا فقال اليهودى العجوز ضاحكاً أنت يا سيك تعوزك الفراسة وإن لم تعوزك الجرأة والوقاحة إن هذا الغلام على جانب كبير من الذكاء فلو انضم إلينا راضياً مختاراً كان لنا سند أى سند أفهمت ؟ فقال سيك : وكيف السبيل إلى اصطحابه معنا وهو نافر منا ومن عملنا ؟ فقال العجوز : عليك أولاً أن تبعث نانسى إلى هذا

المساء فأسلمها إياه فتسوقه إليك دون أن يعلم من الأمر شيئاً وليس غير الفتاة نانسى من يستطيع أن يصحبه إليك فقد وثق بها الغلام ومال إليها بعد تلك الليلة التى دافعت فيها عنه وناصرته فقال سيك: ومن يقنع نانسى بالقيام بهذا العمل وبالسكوت عن أمرنا المبيت؟ فقال العجوز: أنت فنانسى تحبك وتخشاك فاستعمل التهديد والوعيد عليك ثانياً أنة تكتم عن الغلام الغاية من اصطحابه معك إلى هدفك حتى تصلوا جميعاً إلى المنزل المقصود ثم علك ثالثاً أن تتوعده طول الوقت فيكون لك سامعاً مطيعاً .

وفى مساء ذلك اليوم أقبلت نانسى إلى منزل اليهودى العجوز فحيته وحيث أوليفر وقالت له : هيا بنا يا عزيزى جئت أصحبك إلى مكان جميل امين ففرح أوليفر وأعتقد أن ساعة خلاصه من ذلك السجن قد حانت فلما صار هو والفتاة خارج الدار رأى مركبة تتنتظرهما فركبها وهو مستغرب مندهش وسار بها الحوذى دون أن يسألها عن

المكان الذى يقصدانه فتطلع أوليفر إلى نانسى متسائلاً إلى أين يا نانسى ؟ فقالت له بصوت عال : كإلى مكان جميل يا أوليفر ثم همست فى أذنه قائلة لقد أكرهت على المجيء إليك واصطحباك ... انظر إلى معتصمي وعنقي تجد آثار الضرب فيها ... إن حياتك وحياتي في خطر لوسمع هذا الحوذى حديثى معك ... فاصبر ولا تيأس من رحمة الله ، فعمل ساعة خلاصك من أيدي هذه الطغمة الشريرة قريبة غير بعيدة .

والتزمت نانسي والغلام الصمت بعد ذلك ، وجرت بهما المركبة في أزقة حقيرة حتى وصلت إلى منزل زري في أحد الأزقة فوقفت عنده ، فترجلت نانسي وهي ممسكة بيد « أوليفر » ودخلت المنزل فإذا سيك ، واقف ينتظرهما ، وهو مقطب الحاجبين ، عابس الوجه ، فابتدر يخاطب أوليفر قائلاً :

-لماذا تأخرت أيها الغلام البليد ؟ فقال أوليفر، خائفاً :

--لم نتأخر ياسيدى فشقة الطريق واسعة ، ولقد قطعتها بنا المركبة دون أن نخرج على مكان من الأمكنة.

فقال سيك والغضب لا يزال مرتسما على وجهه :

-حسن ... ها هي ذي المائدة معدة وحافلة بما يشتهي الإنسان من الأطعمة اللذيذة ، فاجلس إليها وتناول عشاءك معنا ، وعندما تفرغ من الطعام فانطرح على ذلك السرير الذي تلقاه في زاوية الغرفة ، وخذ نصيبك من النوم فسوف نستيقظ مبكرين جدا ، ونغادر المنزل في الخامسة فلم ينبس « أوليفر » ببنت شفة ، ولا جرؤ على أن يسأل ذلك الوحش المفترس إلى أين المسير في الصباح الباكر ، فرأى سيك ونانسي قد جلسا إلى المائدة فحذا حذوهما وتبلغ بقليل من الطعام ، ونفسه عازفة عنه ، ثم مضى إلى السرير واستسلم للرقاد ...

وقبيل الساعة الخامسة ، شعر بالسرير يهز هذا عنيفا ، فوثب ناهضا ، فأمره سيك بارتداء ملابسه ، فأذعن ساكنا وقبل أن يخرج به من

المنزل وقفه سيك وقال له وهو ممسك بمسدس في يده :

-أتدري ما هذا ؟ فقال أوليفر: - إنه مسدس ياسيدي فقال سيك :

-انظر ... لقد وضعته في جيبي وفوهته إلى الخارج، فإن بدا لك أن

تهرب أو تتلصقاً في تنفيذ ما أمرك به في أثناء رحلتنا ، ألهبت دماغك

برصاصه ، وتركنك جسدا بلا روح ... أفهمت ؟

فحال ذعر الغلام دون الجواب، فاكتفي بأن هز رأسه علامة الطاعة

والخضوع ، وحانت منه التفاتة إلى نانسي ، فقرأ في عينيها معاني

الألم والرتاء له ، فخاف من العاقبة التي تنتظره، ولكنه تشجع إذ رأى

إنسانا يعطف عليه في محنته الأليمة .

وخرج سيك وأوليفر من المنزل ، وبقيت نانسي فيه ، فما كادا

يخطوان خطوة واحدة ، حتى رأى أوليفر المركبة التي أقلته إلى سيك

مساء أمس واقفة قرب الباب ، وكانها تنتظرهما ، فاستوى سيك

وأوليفر فيها، فانطلقت بهما من غير سؤال ولا جواب .

لحظ أوليفر ، وهو غارق في صمته وسكونه ، أن المركبة بعد أن اجتازت بهما الدروب الضيقة والأزقة القذرة ، قد انتهت إلى الطريق العام، وهناك أخذ جوادها ينتهبان الأرض انتهابا ، فأدرك أنهما غادرا مدينة لندن ، وأنهما يقصدان إما قرية من القرى في ضواحي العاصمة، أو مدينة من المدن القريبة وكان سيك هو أيضا صامتا لا تتفرج شفتاه عن كلمة من الكلمات، ولكنه كان من حين إلى آخر، يخرج مسدسه من جيبه، ويعبث به قليلا ، ثم يصوبه إلى أوليفر ، وهو يقول له - : تذكر ما أوصيتك به ، وإلا فأنت تعرف عاقبة العصيان جرت المركبة بالمسافرين حريا حثيثا حتى انتصف النهار ، فوقفت عند باب مطعم من المطاعم ونزل سيك منها وجر معه أوليفر ودخلا المطعم ، فتناولا فيه طعام الغداء ثم دخن سيك عدة لفافات من التبغ ، ثم خرجا واستقلا المركبة فتابعت بهما السير إلى حيث يقصدان بل إلى حيث يقصد سيات فما كان أوليفر ليديري كما

علمنا إلى أين ستنتهى بهما خاتمة المطاف، ولا كان يدري الغرض من هذه الرحلة .

واستمرت المركبة تجرى بهما حتى توارت الشمس وراء الأفق ، وبدأ المساء ينتشر على الأمكنة والبقاع ، وعلى حين فجأة وقفت المركبة

على مقربة من أحد الجسور ، فترجل الحوذي وترجل بعده سيك و أوليفر ثم أشار سيك ، إلى الحوذي إشارة خاصة ، وأمسك بيد أوليفر وسار به في خطى واسعة ، فما شك الغلام المسكين إلا أن رفيقه الظالم قد جاء به إلى هذا المكان ليغرقه في النهر ، ويتخلص منه في هذا المكان البعيد ، فلا يقف أحد على جريمته ، فارتعدت فرائص الغلام عندما جالت بخاطره هذه الفكرة ، وازداد يقينه بالخطر الداهم حين رأى سيك لا يجتاز به الجسر، بل ينزل من أحد جانبيه إلى مستوى النهر ، فبدا له أن يصيح مستغيثاً ، ولكن تذكر المسدس

في جيب غريمه ، ووازن بين الموت قتلا بالرصاص أو غرقا في مياه النهر ، فأثر الصمت مستسلما لمشيئة الله ، منتظرا مصيره المحتوم .

وصل سيك به إلى حافة النهر ، ولكنه لم يرمه فيه كما توهم؛ بل سار به في درب ضيق متعرج، حتى بلغا كوخا من الأكواخ مقاما على جانب النهر ، فتنفس أوليفر الصعداء لما رأى سيك يطرق باب الكوخ طرقا خاصا ثم يفتح الباب ويدخل منه إلى الكوخ ، ويستقبله فيه رجلان تبعث سحنتهما البشعة بالذعر في القلوب ، ويقول له أحدهما وهو يشير إلى أوليفر : من هذا ؟

فأقبل سيك ، على الرجلين يحدثهما حديثا خافتا ، فبدت على الرجلين علامات الطمأنينة ، بل لعل وجود الغلام قد سرهما، ثم دعوا سيك والغلام إلى تناول الطعام ، فأكلوا جميعا ثم قال سيك يخاطب أوليفر :

تمدد على هذا المقعد وتمتع بقسط من الراحة فإننا سنستأنف السير في منتصف الليل .

فامتثل أوليفر للأمر ، وكان في أشد الحاجة إلى النوم والراحة وفي منتصف الليل دهش الغلام إذ رأى الرجلين يصطحبانهما ، ويركبان معهما المركبة التي جاء هو وسيك بها ، وكانت تنتظر القوم حيث وقفت على مقربة من الجسر فبدأ أوليفر يفكر ويطيل التفكير لعله يدرك الهدف من هذه الرحلة الشاقة مع هؤلاء الأبالسة ، فما استقر في ذهنه رأى يرتاح إليه وبعد مسير ساعة من الزمان، وقفت المركبة ونزل منها الراكبون وساروا قدما بين المزارع حتى وصلوا إلى منزل، جميل تام في وسط حديقة غناء، يحيط بها سور قليل الارتفاع ، فوقف الرجال الثلاثة عند جانب من جوانب السور ، وأخرج سيك مسدسه وسدده إلى دماغ أوليفر وهويقول له همسا: تذكر وحذار ثم تسلق أحد الرجلين السور وهبط منه إلى الحديقة ، ورفع سيك الغلام

وقذف به إلى الحديقة ، فتلقاه الرجل الذي سبقهم إليها ، لحق به سيك والرجل الآخر ، ومشى الرجال الثلاثة والغلام في خطوات خفيفة إلى أن بلغوا باب المنزل ، متسترين برداء الظلام ، وهناك انفرد سيك بالغلام وهمس في أذنه :

-انظر إلى هذه الكوة الصغيرة في أعلى الجدار سنفتح بأدواتنا بابها الخشبي ، وسنرفعك إليها فتجتازها وتهبط منها إلى السلم ، فهو غير بعيد منها ، ثم تنحدر منه إلى باب المنزل فتشد مزلاجه وتفتحه لنا وإياك أن تحدثك النفس بغير هذا الذي أمرك به ، وإلا مزقت جسدك برصاص مسدسي أي كنت فما وسع أوليفر ، إلا الإذعان ، ولكنه كان قد صمم في قرارة نفسه أن يهبط من الكوة إلى السلم، ويملاً المنزل صياحا واستغاثة ، لعل سكان المنزل يهرعون إلى نجدة ، وينقذون أنفسهم من هؤلاء اللصوص الذين جاءوا يغيرون عليهم ويسلبونهم المال والمتاع .

وقف أحد الرجلين مستندا إلى الجدار وعاون الرجل الثاني على أن يرتفع إلى كتفيه ، فلما استقر عليهما بلغ الكوة فأخذ يعالج بابها بما في جيبه من أدوات حتى فتحه ، وهنا اقترب سيك ، من أوليفر ورفعها بكلتا يديه ، وقذفه إلى الرجل الذي فتح باب الكوة ، فتلقاه بيده اليمنى ، في حين أمسك باليسرى حافة الكوة حتى لا يسقط ، وبعد أن استعاد توازنه ، دفع بالغلام إلى مدخل الكوة ولكن لمع في المنزل على حين غرة ضوء مصباح أعقبه طلق ناري سقط أوليفر على أثره مرتميا إلى الحديقة ، فتلقفه سيك ثم علا الضجيج في المنزل، فلم يسع للصوص إلا الهرب ، فتسلقوا سور الحديقة ولأذ الرجلان بالفرار ، أما سيك فكان أبطأ منهما حركة ، لأنه كان يحمل أوليفر مغشيا عليه .

وشعر سيك بعد قليل أن سكان المنزل قد غادروا إلى مطاردتهم ، فأصوات الناس ونباح الكلاب تمزق سكون الليل ، وتصل إليه فتحده

على الإسراع في الهرب ، ولكن كيف السبيل إلى الفرار وهذا الغلام المغمى عليه يعوقه عن الركض والابتعاد عن المطاردين ؟

وزاد في قلقه وحنقه سماعه دوى عجلات المركبة التي كانت تنتظره، فعلم أن زميليه قد استقلاها وهربا بها . وبينما هو يجري على غير هدى، عثرت رجله فوقع في حفرة فتدأرى بها هو والغلام، على أمل أن يستأنف الهرب عندما تخف وطأة المطاردة ، وحينها وضع أوليفر في أرض الحفرة ولحظ أن ذراع الغلام اليسرى يسيل منها الدم ، فأدرك أن الطلق الناري قد أصابه دونهم جميعا، فأخذ الشال الملفوف على عنقه ، وربط به جرح أوليفر ربطا محكما فمنعه من النزيف ، وقضى ساعات طويلة في ذلك المخبأ ، لا يستطيع الخروج منه . وكان كلما هم بمغادرته طقت مسمعه أصوات المطاردين فقبع فيه ، وعندما بدأت خيوط الفجر تلوح في الأفق، نظر إلى وجه أوليفر فرأى جفونه تتحرك كالمستفيق من نومه أو غيبوبته ، فقال في نفسه :

إن هذا الغلام سيعوقني عن الحرب ، وجرحه علامة مميزة تلفت الأنظار إنفي هذه البقعة ، فقرر أن يتركه ويرحل عنه ففعل .

وظلع الصباح من خلال الغمام الذي كان يملأ السماء ، فأفاق أوليفر وهو يرتجف من البرد ، وكان لا يزال خائر القوى ، فاستغرب من وجوده في تلك الحفرة ، فتحرك قليلا من موضعه ، فاشتد عليه الوجع ، فتحسس ذراعه اليسرى فإذا هي تنزف دما من ثنايا رباطها المحكم ، فصاح متألما وبقي يزفر ويتنهد حتى طلعت الشمس ، فاستجمع قواه وخرج من الحفرة ، وأخذ يجيل الطرف فيما حوله ، فلم يعرف أين هو، فمشي بين المزارع لعله يجد أحدا يستنجده ويعتني بجرحه ، وظل يمشي متحاملا على نفسه إلى أن لاح له منزل قريب محاط بحديقة مدورة ، فقام في ذهنه الصغير أنه يعرف هذا المنزل وتلك الحديقة ، ولكنه لا يذكر متى رآهما ، فسار إليها يتعثر مرة وينهض أخرى ، فوصل إلى باب الحديقة وكان مفتوحا ، فدخل منه ومشى إلى

باب المنزل وهو يكاد يقع من شدة الألم والإعياء ، فما إن يحدق إلى المنزل وإلى الكرة التي في أعلى الجدار ، حتى ينجلي له الموقف ، ويتذكر حوادث الليلة الماضية ، ويعلم أنه المنزل الذي حاول اللصوص سرقة معتمدين عليه في غرضهم الأثيم ، ففكر أن يعود على أعقابه هاربا لئلا يتهم بجريمة السرقة ، ولكنه سقط مغشيا عليه عند الباب .

وكان سكان المنزل يتألفون من أرملة عجوز وصبيّة حسنة ومن طبّاح وخادم وخادمة ، ومدبر للمنزل يدعى جيل نشأ في كنف الأسرة وراني عندها فاكنتسب بذلك بعض الرعاية والسلطان ، وكان هو الذي أطلق النار على المعتدين في الليلة البارحة فلما سمع جيل حركة عند باب المنزل أمر الخادم بأن يستقضى الأمر فعاد إليه وهو يقول - :
غلام جريح يا سيدي فسارع كل من في المنزل ما عدا الأرملة العجوز إلى رؤية ذلك الغلام الجريح ، فصاح جيل مزهوا مفتخرا

يخاطب الصبية الحساء :

« -مولاتي إنه أحد اللصوص الذين أغاروا علينا ليلة أمس ...
إن رصاصتي قد أصابت منه مقتلا وتفرست الفتاة في وجه أوليفر ،
فتحركت في فؤادها الشفقة به والرتاء لحاله فقالت - : انقله يا جيل
إلى غرفتك ، واستدع الطبيب في الحال ،
وكونوا جميعا معه حلماء كرماء النفس فقال جيل -مولاتي ! إنه أحد
اللصوص الذين هاجمونا ليلة أمس فقالت الفتاة غاضبة :

-إنه غلام جريح وكى ، وسننظر بعد ذلك فيمن يكون ونفذ قرار الفتاة
، فنقل أوليفر ، إلى غرفة جيل وأقبل الطبيب بعد قليل فضمد جرح
الغلام ، وأسعفه الإسعاف اللازم وكانت الفتاة والأرملة العجوز
تنتظرانه في البهو ، فاستوضحته شأن الجريح فقال - : لقد انتزعت
الرصاصات من ذراعه وضمدت جرحه ، فهو الآن في غيبوبة ، وقد
يفيق بعد ساعة أو ساعتين ، وسأعود إلى زيارته قبيل الظهر ، ولكني

أرجو أن لا يزعج بالأسئلة وأن لا يحمل على الكلام .

وسكت الطبيب هنيهة ثم قال : - وهكذا يا سيدتي عنيتما بمن حاول سرقتكما البارحة - إنه أصغر من أن يكون في عداد اللصوص ، فقال الطبيب : - اللصوصية كالموت يا أنستي ، فلا تفرق بين الأعمار ، لكن مخايل الغلام لا تدل على الإجرام ، ثم ما يدرينا أنه أحد اللصوص الذين هاجمونا البارحة ؟ أيكفي أن نرى غلاما جريحا فنوقن أنه اللص الذي أصابه جيل برصاصته ؟ فقال الطبيب - : قد تكونين على صواب يا أنستي ، وكيفما كان الأمر فالحقيقة

استكشف عما قريب فقالت الأرملة العجوز - : لقد أبلغنا رجال الشرطة بالسرقة، فهل نتركهم يستجوبونه إذا حضروا ؟ فقال الطبيب - : كلا ! فحمله على الكلام يعرضه لخطر محقق ولك يا سيدتي أن تقولى لرجال الشرطة إن الطبيب المعالج يرجو منهم إرجاء استجواب الغلام ريثما يزول عنه الخطر فقاطعت الفتاة الطبيب قائلة - : إننا

نتحدث عن هذا الغلام تحدث المقتنع بجرمه ، في حين أنه قد يكون بريئا ، ونفسي تحدثني أنه بريء فودع الطبيب الفتاة والسيدة الأرملة ، ووعده بالعودة بعد ساعات قلائل ولم يكده الطبيب بيتعد من المنزل ، حتى أقبل رجال الشرطة يحققون في حادث السطو ، ويعاينون الأمكنة ، ويستجوبون سكان البيت ، ولما أرادوا أن يدخلوا حجرة جيل تصدت لهم الفتاة وأخبرتهم أن فيها غلاما جريحا جاءهم في هذا الصباح مستغيثا مستنجدا، فاستدعوا له الطبيب وحاله الآن تنذر بالخطر ، ثم بينت لهم الفتاة أنها لا ترى صلة من الصلات بين هذا الغلام وحادث السطو ، فهي لاتحمل على الظن أنه من اللصوص الذين يسطون على المنازل ، ولو فرض المستحيل وكان من سطوا على منزلنا لما جاء إلينا يسعي عن حتفه بظلفه .

فوثق رجال الشرطة في كلام الفتاة ، وعدلوا عن استجواب الغلام ، ولكنهم اشترطوا عليها أن يكون رهن العدالة إذ ما بدا للقضاة أن

يحققوا أمره ويستجوبوه ، فعاهدتهم على ذلك ..

ومكث أوليفر عدة أيام طريح الفراش وصرير الحمى ، ولم يدخر الطبيب وسعا في معالجته ، ولا توانت الفتاة الحسنة واسمها وردة عن مداراته والعطف عليه ، حتى فارقتة الحمى وأخذ البرء يتمشى في جسده السقيم الناحل ويوم استطاع أن يستوي في سريره متماثلا للشفاء،

قص على الأنسة ، وردة ، في حضور السيدة الكبيرة والطبيب قصته التاعسة فما شك أحد في روايته ، بل رثوا كلهم لحاله ، وأحاطوه بالعطف والشفقة ، ولا تسئل عما اجتاح فؤاده من شعور الوفاء والعرفان بالجميل حين رأي الأنسة وردة ، تميل عليه لتصلح من جلسته في السرير ، وتسكب من عينيها عبرتين سخينتين انهمرتا على خده الأيسر، فعصفتا بقلبه ، وحرار كيف يعبر لها عن ولاءه ومحبته وإخلاصه إزاء هذا الحنان الذي غمرته به ..

شفي أوليفر ، تمام الشفاء ، واستضافته الأسرة ، وقضى معها أيامنا جميلة هائلة .

في ضحى اليوم الذي تحامل فيه أوليفر على نفسه وخرج من الحفرة ومشى وهو جريح محموم يلتمس النجدة والمعونة ، كانت مدبرة الملجأ الذي ولد فيه أوليفر جالسة إلى موظف الملجأ تسمع منه الأوامر التي كلفه مجلس إدارة الملجأ أن ينقلها إليها ، وبينما كان الموظف أي السيد بمبل يتحدث بلهجته الخطيرة ، والمدبرة تصغي إليه في حذر وانتباه حتى لا تفوتها شاردة ولا واردة من حديثه ، قرع أحد القادمين باب الحجرة قرعا عنيفا فقالت المدبرة :

-من القادم ؟ ادخل

وفتح الباب وبدا منه رأس متسولة عجوز ، فقالت لها المدبرة في نزق وحنق :

-ماذا تريدین ؟ فقالت المتسولة - : سيدتي ! إن العجوز سالی

تحتضر وتعالج سكرات

الموت! فقالت المدبرة متضجرة : - : وماذا عساي أن أصنع لها ؟

أفي وسعي أن أرد عنها غائلة الموت ؟ فقالت المتسولة - : كلا فما

من الموت مفر ولكنها تتوسل إليك أن تهرعى إليها في الحال قبل

فوات الأوان ، فليها سر خطير تريد أن تفضي به إليك ، ولن تموت

مرتاحة الضمير إذا هي فارقت هذه الدنيا ومعها السر المغيب في

صدرها فاستأذنت المدبرة من الموظف وخفت هي والمتسولة إلى

حجرة مهملة من حجر الملجأ كانت مأوى المحتضرة ، فرأت هناك

عجوزا أخرى تسهر على المريضة التي كانت أقرب إلى العالم الثاني

منها إلى هذا العالم ، فأخذت العجوز المكان للمدبرة وخرجت

والمتسولة من الحجرة ، فاقتربت المدبرة من المحتضرة وقالت لها :

-وها أنا ذي يا سالی فاذا تريدین أن تنهى به إلى ؟ فتحت

المحتضرة عينها كأنها عائدة من العالم الآخر ، وقالت لها بصوت خافت يشبه الهمس :

-اقتربي من... يجب أن أقول لك ... أتذكرين أنني في هذه الغرفة ، وعلى هذا السرير ، كلفت فيما مضى السهر على سيدة حسناء فنية ، وفدت إلى الملجأ معفرة الشعر والثياب ، مورمة القدمين من طول ما مشت ؟... إن هذه السيدة الجميلة قد وضعت غلاما وماتت ... آه دعيني أفكر في أية سنة كان ذلك قالت المديرية - : لا تحفل بالسنة ... وقولى ما تريدين أن تقوليه ...

فتجدت المحتضرة كمن يستمد القوة من روح خلي وقالت :

-لقد سرقت من هذه السيدة شيئا ... نعم سرقت منها شيئا قبل أن تبرد جثتها أجل قبل أن تبرد جثتها فقالت المديرية وقد نفذ صبرها « - : قولى ماذا سرقت منها ؟ فقالت المحتضرة :

الشيء الوحيد الذي كانت تملكه كانت تضعه فوق قلبها ... كان من

الذهب وربما استطاعت به أن تتقذ حياتها وارتمت المحترضة إلى
الوراء متعبة ، فمالت عليها المديرية وهي تقول
لها بلهفة وفضول - : كان من الذهب ... ثم ماذا ؟ من كانت هذه الأم
الفتية ؟ فقالت المحترضة أوصتى أن أحتفظ به بكل دقة وعناية
عهدت إلى بحفظه لأنني كنت الإنسان الوحيد القائم إلى جانبها في
لحظة وفاتها ولعلي أنا أيضا السبب في موت الطفل ربما أحسنوا
معاملته لو عرفوا

وتعبت المحترضة من الجهد الذي بذلته في هذا الحديث ، فغامت
عينها ، وارتخت مفاصلها ، فقالت لها المديرية جازعة مستطلعة -- :
وما اسم هذا الطفل ؟ فقالت المحترضة : - كانوا يسمونه أوليفر ،
والذهب الذي سرقتة كان وحال الموت دون تنمة عبارتها وأسلمت
الروح

وفي ضحى ذلك اليوم أيضا عرف اليهودي العجوز مما طالعه في

الصحف أن العصابة قد أخفقت في السطو على المنزل المنشود ، فأحرق الأرم غيظا ، وبات يتوقع أوخم العواقب من ذلك الإخفاق ، ولكنه اطمأن باله بعض الاطمئنان حين قرأ في تلك الصحف أن اللصوص قد تمكنوا من الفرار ، وأن رجال الشرطة والمباحث جادون في أثرهم و بينما كان مستغرقا في تفكيره مساء اليوم التالي ، دخل عليه اللسان اللذان اشتركا في السطو فقصا عليه القصة من ألفها إلى يائها ، فصاح في وجهيهما غضبان هائجا : ويحكما من تاعسين والغلام ؟ الغلام ؟ !وراعي اللسان غضب الزعيم فانصرفا لعل الوحدة تهدي من ثائرتة ، أما هو فمكث قليلا يضرب أخماسا لأسداس ، ثم تناول قبعته وخرج من الدار قاصدا إلى منزل لا يجتمع فيه إلا المجرمون واللصوص ، فرحب به صاحب المنزل فقال له اليهودي العجوز :

هل موناك هنا ؟ فقال صاحب المنزل كلا ولعله يحضر بعد قليل

فقال اليهودي العجوز - : حسن أخبره أني في انتظاره مساء غد في منزلي الثاني وغادر العجوز المكان وذهب توا إلى منزل سيك والشرر يتطاير من عينيه وفي أثناء الطريق قال لنفسه : إن كان سيك قد تأمر هو ونانسي على الاستئثار بالغلام ، فالويل لهما من انتقامي دخل المنزل فاستقبلته نانسي باسمه ، فأول معني ابتسامتها ألف تأويل فقال لها :

-أين سيك ؟ فقالت نانسي - : لست أدري فقال وقد حدق إلى عينيها ليستشف مطاوى

صدرها : والغلام ؟ فقالت في صراحة ظاهرة - : لست أدري فقال العجوز - : لقد قضى سيك ليلته أول أمس في حفرة ، بعد أن أخفق في مهمته ، وكان الغلام معه فقالت :

-أود من صميم الفؤاد لو مات بردا أو جوعا أو برصاصة عابرة ، حتى ترتاح نفسه من حياة الإجرام التي يحيها أما الغلام فكان الله في

عونه وأنقذه من مخالبك وبرائتك فصاح فيها اليهودي العجوز - :
دعى عنك هذا الرياء... فأنت و'سيك تعلمان حق العلم أن هذا الغلام
قصة ، وأني سأجني من وراء تلك القصة مئآت الجنيهات إذا أنا قمت
بأمر معين فإن أخفيتماه عنى فالويل لكما من انتقامى .

وتركها ذاهلة مدهوشة مما سمعت ، وانصرف يقضى الليل في منزله
الثاني وفي مساء اليوم التالي زاره هذا الذي يدعى مونك ولئن لم
يظهر إلا الآن في سياق روايتنا هذه ، لقد كان على صلة باليهودي
العجوز، يتقابلان سرا ويتآمران معا على الغلام أوليفر فلما تقابلا
وجها لوجه قال اليهودي العجوز بصوت ملؤه الحسرة والأسى - : لقد
أخفق التدبير الذي دبرته ، وعاد أفراد العصابة خاسئين .

-إنك تصرفت تصرف البلهاء ثم ما لنا وإشراك الغلام في حادث
سطو؟ أما كنت تستطيع أن تجعل منه نشالا فقط كان ذلك يكفيني فقال
اليهودي العجوز - : كلا لم يكن من السهل حمله على النشل، فهو

غلام ذكى عنيد ، لا يفعل إلا ما يريد ومنذ اليوم الذي جئت فيه تخبرني أن هذا الغلام هو ضالتك المنشودة ، وأنا أجهد في تنفيذ ما اتفقنا عليه وزاد في تعبي وإرهاقى أن الفتاة نانسي أصبحت تدافع عنه ولماذا تبقي عليها ؟ اخنقها ما دامت تعرقل خطتك ولكن حذار على حياة الغلام فموته يسبب لي المتاعب، ولا بد أن تعرف صلتى بالحادث فأفقد كل شيء أريده أن يصبح وغداً سافلا لا هذا كل وتوقف فجأة عن الكلام ، وتشبث باليهودي العجوز وهو يقول له في ذعر واضطراب - : لقد لمحت خيال امرأة يتلصص علينا ويتنصت إلينا فهذا اليهودي العجوز من روعه، وأكد له أنه ما من مخلوق رجلا كان أم امرأة يجسر على تخطى عتبة باب المنزل إلا أن يكون منزمة العصابة ، وهؤلاء لا يتلصصون ولا يتنصتون، بل يدخلون توا حيث يكون فلما لم يقتنع مونك بمنطق العجوز ، شاء هذا أن يثبت له صحة ما يقول ، فأخذ المصباح وجال ومونك في أنحاء المنزل

غرفة غرفة ، فما لمحا آثار إنسان ، فانصرف مونك ، ونفسه فريسة للهواجس والوساوس .

وظهر سيك بعد أيام ، فما استطاع أن يخبر اليهودي العجوز بمصير أوليفر ولا استطاع أن يهدي من ثائرتة، ثم انقضت عدة أسابيع وما من نبأ عن الغلام ، وكان اليهودي العجوز كلما خلا إلى نفسه طار فكره إلى الغلام أوليفر وود لو عرف مقره فجنده له الإنس والجن يختطفونه ويعيدونه إليه، حتى لا يفقد المبلغ الضخم الذي وعده به مونك: مقابل إفساد الغلام ، ولكن أنى له الرجم بالغيب ليعلم أن أوليفر سعيد كل السعادة في ضيافة الأسرة التي أوتته ، وأنه يشغل نهاره بصيد العصافير وسقي الأزهار وتسلق الأشجار .

وأقبل أوليفر ذات يوم على الأنسة وردة وقال لها - : في صدري كلام أريد أن أفضى به إليك يا آنسة ، ولكني أخشى أن تتهميني بالعقوق وإنكار الجميل فقالت وردة مبتسمة :

-قل ما بدا لك يا عزيزى أوليفر ولا تخش بأسنا فقال أوليفر : وددت لو على ذلك المحسن الرقيق الفؤاد السيد براون ومديرة منزله التي عطفت على ورعتني ، أنى مقيم عندكم سعيد بضيافتكم .

-ما أطيب عنصرك يا أوليفر وما أنبل شعورك أنا لا أشك في أنهما سيغتبطان لاغتباطك ، فاعلم أن الطبيب الذي عالجتك قد وعدنا أن يصحبك إليهما في يوم من الأيام .

ولم يطل انتظار أوليفر ، لليوم الموعود فقد جاءه الطبيب بعد أسبوع ، واستقل معه مركبة الأسرة ، وذهبا يزوران السيد براون لكنهما عادا من رحلتها والأسى يملأ قلب أوليفر فقد وجدا المنزل خلوا من السكان ، وعليه لافتة للإيجار ، وعلما أن السيد براون ومديرة منزله قد رحلا منذ أربعة أسابيع إلى بلاد الهند الشرقية .

ومرت على أوليفر ، بعد ذلك ثلاثة أشهر ، ذاق فيها أطيّب ألوان السعادة في صحبة الأنسة وردة والسيدة الوقور ، وكان جيل ومن

حواله من خدم بيالغون في إكرام أوليفر ويتفننون في الحفاوة به ،
فقدر أوليفر جميلهم وجميل رجل شيخ من جيرانهم ، نزل من قلبه
منزلة حبيبة ، فكان يزوره كل يوم، ويلقنه مختلف الدروس في اللغة
والحساب ومبادئ العلوم ، فتقدم أوليفر في فترة وجيزة تقدمنا باهرة
، وجعل الكتاب جليسه وسميره حين لا يكون في صحبة الأنسة وردة
أو في صحبة أحد من سكان الدار ، وبلغ من شغفه بالدراسة وتحصيل
العلوم أن أصبح لا يأوى إلى فراشه إلا في ساعة متأخرة من الليل،
ولا يترك الكتاب من يده إلا بعد أن يثقل جفنيه النعاس فلا يستطيع له
دفعاً ولا مغالبة

جلس موظف الملجأ ذات يوم إلى مكتبه يصرف بعض الشؤون ،
فطاف به الخيال كل مطاف وانتهى إلى أمر من الأمور فتنهد وقال :
-لقد مضى شهران على ذلك الحادث، ويخيل إلى أن مدة هذين
الشهرين أطول من دهر .

ولعله كان يشير بذلك إلى زواجه ؛ فمن كانت الزوجة الصالحة التي وقع اختياره عليها وبدأ يتأفف من عشرتها ؟ إنها كانت مديرة الملجأ ، فقد ضمن بذلك الزواج الطعام الهنيء والشراب المرىء فضلا عن مبلغ من المال تنقده إياه بعد أن كانت قد ادخرته فلسا فوق فلس .

وبعد أن تنهد الموظف أي السيد بمبل خرج من الملجأ وطاف على عدة مقاه حتى وصل إلى مقهى كان خاليا من الناس ، إلا من رجل واحد انفرد بنفسه وأخذ يحتسي شيئا من الشراب ، فدخل بمبل المقهى ومر بالرجل وحياه ، فرد عليه الرجل التحية غير حافل به ولا مكترث له ، وكان يبدو على الرجل أنه غريب عن المكان ، وأنه قادم من سفر بعيد فلا تزال ملابسه معفرة بالغبار ولكنه لما أُرِدْف بمبل تحيته بذكر اسمه انتفض الرجل وقال - : لقد جئت إلى هذه المدينة لأبحث عنك ، وها هي ذي ملائكة السماء أو أبالسة الجحيم قد دفعتك إلى دفعا ... جئت أتزود منك ببعض الأخبار ، ومهما بلغت من التفاهة

، فلن أستأثر بها مجاناً لوجه الله ... فخذ هذه الدفعة على سبيل المقدم من أتعابك .

ورمي إليه يجنيهين من الذهب ، فأخذهما بمبل وستهما سريعاً في جيبه ، وأصغى إلى الغريب يقول له : ابحث في ذاكرتك هيا منذ نحو أحد عشر عاماً في الملجأ الذي تديره الآن كان الوقت ليلاً ولم يكن المكان إحدى غرف الملجأ بل حجرة حقيرة مهملة فقال بمبل :
-لعلك تشير إلى قاعة الولادة في الملجأ فقال الغريب :

-نعم. فقد ولد فيها غلام كفله الملجأ ثم دفع به عندما ترعرع إلى صانع توابيت ليعمل عنده ولكنه فر منه إلى لندن كما هو مزنون فقال بمبل : أتقصد الغلام أوليفر تويست ما عرفت غلاماً أكثر منه عناداً ولا أقبح خلقاً فقال الغريب « - : ما جئت لأسمع أحاديثك عنه ووصفك لأخلاقه بل جئت أعرف ماذا حل بالمرأة العجوز التي عنيت بأمر الطفل .

-ماتت منذ عهد غير بعيد وكأنما اكتفي الغريب بما علم، فنهض منصرفا ، ولم يدر بمبل ، أفرح الغريب لموت المرأة العجوز أم استاء، ولكنه أدرك بذكائه وفطنته أن كل ما يحيط بتلك المرأة من أخبار وأسرار يهم الرجل الغريب ، فتذكر أن زوجته كانت إلى جوار سالى العجوز عندما لفظت أنفاسها ، وأنها استودعتها سرا من الأسرار فأراد أن يستفيد من الظروف الراهن لعله يكسب منه بعض قطع أخرى من الذهب ، فاستوقف الغريب وقال له :

-أعرف سيدة كانت إلى جانبها حين لفظت روحها ، وأعرف أنها أنهت إليها بس خطير فقال الغريب - : وهل لي أن أقابل هذه السيدة ؟ فقال يمبل يمكنك ذلك ولكن بوساطتي أنا فإن شئت جمعتك بها غدا : فقال الغريب - : حسن . أنتظركما غدا في الساعة التاسعة مساء وإليك عنواني وأخرج الغريب من جيبه ورقة كتب عليها اسمه وعنوانه ، وانصرف عاجلا وتوارى عن الأنظار ، وبقي بمبل عدة

دقائق يطالع المكتوب في تلك الورقة ، فعلم أن العنوان يشير إلى بعض الأحياء الحقيرة في المدينة ، أما اسم الغريب فكان مونك .

وفي الموعد المضروب من مساء اليوم التالي ، كان بمبل وزوجته في مسكن مونك فاستهل الحديث قائلاً يخاطب السيدة :

-قال لي هذا السيد إنك كنت إلى جوار تلك الساحرة العجوز ساعة استأثرت بها رحمة الله ، وإنها أفضت إليك بأمر من الأمور - وكم يساوي هذا الحديث الذي سأنهيه إليك ؟ فقال مونك إن رأيت فيه بعض الفائدة دفعت ثمنه عشرين جنيها .

لن أبوح به بأقل من خمسة وعشرين جنيها تدفع الآن عدا ونقدا ، سواء استفدت منه أم لم تستفد ، على أننى واثقا كل الوثوق أنك ستجده جليل الشأن والخطر ، وتنتفع به الانتفاع الذي ترجوه

وبعد قال وقيل ومساومة ، نقدها مونك المبلغ فقالت - : لما ماتت تلك المرأة العجوز التي نسميها سالى كنت الوحيدة إلى جوارها فقال

مونك في صبر نافذ :

حسن نعرف ذلك أتمنى حديثك فقالت زوجة بمبل -لقد حدثتني عن امرأة فتية حسناء ولدت غلاما قبل بضع سنوات ، وهذا الغلام هو الذي عرف فيما بعد باسم أوليفر تويست ثم قالت لي إنها سرقت شيئا من أم الطفل فقال : مونك - : أسرقته في حياة الأم أم بعد وفاتها ؟ فقالت زوجة بمبل - : سرقته بعد مماتها ، وكانت الأم قد أوصتها بأن تحتفظ به حتى تسلمه لابنها ، ولكنها باعته فصاح مونك بصوت ملؤه اليأس : أين باعته ؟ ومتى ؟ ولمن ؟ فقالت زوجة بمبل - في اللحظة التي حدثتني عن هذه السرقة انقلبت ميتة فقال مونك غاضبا - : وهذا كذب صراح إنكما تخدعاني وتخفيان عني كلام المرأة لتبتزرا منى النقود فوالله لو علمت بكذبكما لأقتلنكما شر قتلة فقالت زوجة بمبل هادئة ساكنة - : لم تزد على ما قلته لك حرفا واحدة ... وقبيل أن تلفظ أنفاسها ، رأيته تضع يدها فوق

ثيابي ، فلما ماتت وجدت كفها منطويا على ورقة عتيقة فقطاعها
مونك قائلا -وعلام كانت تحتوي ؟ فقالت زوجة بمبل :

ما كانت تحتوي على شيء كانت وصلا من بنك الرهون لحامله
فاسترددت أنا بعد يومين الحلية المرهونة فقال مونك وأين تلك
الحلية الآن ؟ فقالت زوجة بمبل - : ها هي ذي .

وأخرجت من جيبها كيسا صغيرة من الجلد ، ووضعتة على المنضدة
فاختطفه مونك وفتحه بيد مضطربة فإذا فيه خاتم زواج وحلية ذهبية
على شكل قلب تحتوي على خصلتين من الشعر ، وقد كتب على
الخاتم اسم أنيبس دون ذكر اسم الأسرة، وحفر عليه تاريخ يرجع إلى
قبل مولد الغلام بسنة واحدة ؟

وكان بمبل في أثناء ذلك تنازعه عوامل عدة وهو صامت لا يتحرك
ولا يتكلم ، فلما رأى بأم عينه تلك النتيجة اطمأنت بالا على حياته
وحياة زوجته من انتقام الرجل ، وضمن الاستنثار بالمبلغ الذي قبضته

زوجته وسكت الثلاثة قليلا، ثم قطع مونك حبال الصمت وقال - : سأريكما على الفور مصير هذه الحلية ، و وتمتد إلى زاوية من أرض الغرفة فضغط بيده على مربع خشبي ، وللحال انخفض من وسط الغرفة مربع كبير ، فسمع تحته جريان الماء، وكان المنزل قائما على حافة النهر ، ومتصلا به بمجرى من الماء ، فقال مونك - كان في استطاعتي أن أفعل هذا الذي فعلت عندما كنتما جالسين فوق المربع الذي انخفض الآن، فتذهبا إلى أعماق النهر جثتين هامدتين ، أما وقد تبينت صدقكما ، فالمروعة تتقاضاني أن أبقى عليكما ، وسأقذف في النهر بدلكما هذه الخلية اللعينة وأمسك بكيس الجلد الذي يحتوي على الخلية والخاتم، وربطه بقطعة ثقيلة من الصلب ورماه في المجرى وقال : إلى الأعماق أيها الأثر الذميم وبدا الارتياح على وجوه الأشخاص الثلاثة كأنهم تخلصوا من كابوس مخيف، ثم شكر مونك ، السيد بمبل وزوجته وقال لهما وهويودعهما - : وحذار من التفريط

بكلمة واحدة مما جرى الآن بينا إن كنتما تؤثران الحياة .
وقضى مونك ليلته في ذلك المنزل ، ورحل في الصباح إلى لندن
وقصد على الفور إلى لقاء اليهودي العجوز في منزله الثاني ،
فتضايق من وجود الفتاة نانسي هناك ، وكان سيك وهو عليل طريح
الفراش قد أرسلها تأتيه ببعض المال من زعيم العصاة فتدارك
اليهودي العجوز الموقف وقال يخاطبها :
- ما عليك إن القادم علينا هو أحد تلاميذي ثم التفت إلى مونك ،
وقال - : راجنتى ببعض الأنباء ؟ ، فقال مونك -- : بأنباء مهمة ...
ولكن ...

وأشار إشارة خفية إلى اليهودي العجوز ، ففهم أنه لا يريد الكلام على
مسمع من الفتاة ، وخشي إن هو أوعز إليها بالانصراف أن تطالبه
بالمال الذي جاءت من أجله ، وقد كان في نيته أن يخفض المبلغ إلى
النصف ، أو أن يساومها على أقل منه ، فتأبط ذراع مونك خرج به

من الغرفة وعلمت نانسي من وقع أقدامهما على السلم أنهما يصعدان إلى الطبقة العليا ، فانتظرت لحظة قصيرة حتى زال وقع الأقدام، فخلعت حذاءها ، وغطت رأسها وذراعيها بالجانب الخلفي من ثوبها ، وصعدت إلى حيث كانا، ووقفت وراء الباب تتنصت إلى ما يقولان ، وقد كتمت أنفاسها ، وعندما انقطع حديث الرجلين ، عادت في سرعة البرق إلى الغرفة التي كانت فيها ، وسمعت مونك يخطو إلى خارج المنزل فلما عاد اليهودي العجوز إليها ، رآها تلبس قبعتها وتهم بالرحيل فقال لها - : و يا لله من شحوب وجهك واصفرارك يا نانسي فماذا فعلت ؟ لم أفعل شيئا وقد سئمت من الانتظار هات النقود .

جاءت الفتاة تطلب خمسة جنيهات فانتهى الأمر باليهودي العجوز إلى أن ينقدها أربعة جنيهات وخمسة شلنات وخمسة بنسات ، فأخذتها ورحلت عن ذلك البيت الجهنمي ، وكانت في أثناء الطريق

تفكر في أمر من الأمور وتتميز غيظا من عجزها عن القيام به .
وصلت إلى المنزل الذي تعيش فيه مع سيك المجرم الأثيم ، فوجدته
صريع الحمى فجلست إلى جانب فراشه تسعفه بما يطلب ، وهي
نهب موزع للأفكار والخواطر ، والجزع والقلق الشديد .

وهبط المساء بسكونه وظلامه ، وتضافر النوم والحمى على سيك
ولا سيما المخدر الذي سقته إياه نانسي ، فغرق في غيبوبة طويلة
، فأقبلت نانسي عليه بعد قليل ، وهزته فما أفاق ، فقبلته في جبينه
وخرجت من المنزل ، وأخذت تدرع الشوارع حتى وصلت إلى حي
من الأحياء الراقية ، ووقفت عند منزل من منازل السراة .

اقتربت من باب المنزل وطرقته في خوف وحذر ، ففتح لها خادم
أنيق ، فطلبت منه أن تقابل الأنسة وردة فتردد الخادم طويلا وهو
ينظر إلى الثياب الزرية التي ترتديها نانسي فما كانت سيدته ممن

يقابل أمثال تلك الفتيات ، وبعد إلحاح وإصرار ، وتوسل وتضرع ، كانت نانسي في حضرة الأنسة وردة .

ولم تكن الأنسة وردة إلا تلك الفتاة التي استضافت أوليفر في بيتها الريفى الجميل ، وحنّت عليه حنو الأم على طفلها ، وكانت هي والأسرة ومن معها من خدم قد انتقلوا في مطلع الشتاء إلى لندن وانتقل معهم بطبيعة الحال صاحبنا أوليفر عجبت الأنسة وردة من مظهر الفتاة نانسي ومن إصرارها

على مقابلتها ، فقالت لها بلهجة كلها رقة ولطف وعذوبة :
-أنا وردة يا أنسة فاذكرى حاجتك فغلب الاضطراب على نانسي وطفقت تبكي وتنتحب ، والأنسة

وردة ترطب خاطرها حتى تغلبت على اضطرابها وقالت : أنا يا أنسة تلك الفتاة التي حملت أوليفر إلى عصابة اللصوص والمجرمين إن جرمى عظيم ، ولست أدري هل يمكنى الله من التكفير عنه فقالت

وردة مدهوشة : أنت ؟ وكيف طاوعك قلبك على ذلك فقالت نانسي وأنا يا سيدتي التي عهد إليها في إصطحابه إلى الأثيم الأكبر الذي سطا هو واثنان من زملائه اللصوص على منزلك في الريف ، وما فائدة هذا الاعتراف با أنسة ؟ ارحميني يا سيدتي يرحمك الله ، فانا أعيش في عذاب أليم من وخز الضمير ، ومن حياة أجز أثقالها بين طغمة من الأشرار

وما الذي يحمك على البقاء بين هؤلاء الناس؟ فقالت نانسي : لو فارقتهم قتلوني شر قتلة ، اللهم إلا أن أشيى بهم وأكشف أمرهم فيكون جزاؤهم أعواد المشانق ، وفي مقدمتهم رجل لا أستطيع عنه افتراقا ارثي لحالي يا سيدتي واشكرى الله أن رعت السماء طفولتك وحدائك وأحاطتك بحنان الأهل وبر الوالدين فدمعت عينا الأنسة وردة وفعل كلام الفتاة في نفسها فعله ، وشرذ ذهنها يفكر في مصائب الناس وأحوال الأشقياء التاعسين ، ولكن نانسي ، انتشلتها

من تفكيرها وهي تقول تحديد الأخطار يا آنسة ، وجنت أعلمك بأشياء تتعلق بالغلام أوليفر فقد يستفيد منها ويكون في ذلك كفارة لى وراحة بال...أتعرفين رجلا يدعى مونك ؟ ، فقالت وردة :

كلا ! فقالت نانسي :

إنه إذن الاسم الذي يتكرر به في عصابتنا والرجل يعرفك ويعلم أنك في لندن وقد سمعته يدلى بعنوانك ، فاستطعت أن أهرع إليك لقد استرقت السمع ذات ليلة إذ كان يتحدث مع زعيم العصابة ، وهو يهودي عجوز يدعى فاجن فعلمت أنه وعده بمبلغ من المال إذا عثر على الغلام أوليفر وجعل منه لصا أثيما .

ذاك طلب عجيب ، فاستأنفت نانسي الكلام وقالت :

وعاد أمس إلى الزعيم واختليا معا ، وتلصقت عليهما وسمعت فاجن العجوز يقول له : وهكذا تخلصت من الدليل الوحيد الذي يثبت هوية الغلام ورميته في أعماق النهر أما المرأة العجوز التي تسلمت

ذلك الدليل من أمه فهي من سكان القبور وسمعت الرجل يجيبه :
أجل وحبذا لو نقدر أن نجر الغلام في سجون لندن، حتى إذا ظهرت
يوما صورة للوصية التي كتبها والده لم يستطع أن ينتفع بها فقالت
وردة :

ما معنى هذا الكلام؟! فقالت نانسي لست أدري يا سيدتي ، ولكني
سمعتة بعد ذلك يقول لليهودى العجوز : إن جميع الأشراك التي
نصبتها في حياتك لا تعادل الشرك الذي سأنصبه في تصيد أخي
الصغير أوليفر ، فصاحت وردة : أهو أخوه؟! فقالت نانسي : هذا
كلامه بحذافيره يا سيدتي ثم إنه عندما تحدث عنك وعن السيدة
العجوز التي تعيشين معها وتدعينها خالتك ، قال إن السماء
والجحيم يتآمران عليه ما داما قد ساقا الغلام إليك ، ولكنه عاد
فضحك طويلا وقال : أه لو تدري وردة من ذلك الغلام الذي تؤويه ؟
ونهضت نانسي تريد الانصراف فوقفتها وردة وقالت : وماذا عساي

أن أفعل بهذه الأشياء ؟ وكيف أستفيد منها ؟
ومتى أراك ثانية أو أين ألقاك ؟.

-و استشيرني با آنسة أحد النصحاء المخلصين أما أنا فسوف
تجدين على جسر لندن في مساء كل يوم أحد من الساعة الحادية
عشرة إلى منتصف الليل ، هذا إذا بقيت على قيد الحياة . !
وشاءت الأنسة وردة أن تنفح نانسي ببعض المال ، فأبت هذه كل
الإباء ، فاقتربت وردة منها وشدت على يدها متأثرة شاكرة ،
فاغرورقت عينا نانسي بالدموع ، فتلك هي المرة الأولى التي
يصادفها فيها إنسان شريف مستقيم طاهر الذيل

هو ابن الحالة التي تعيش معها ولكنها ترددت في استدعائه إليها
لأسباب عاطفية لا تريد إثارتها ، فما زال الفكر يطرحها كل مطرح
حتى غلب عليها النعاس والتعب فنامت ونهضت في الصباح
مهمومة ، وعادت إلى تفكيرها وقضت فيه ساعة أو ساعتين وإذا

بالغلام أوليفر يدخل عليها مضطربا وكان قد عاد من نزهة في شوارع لندن صحبه فيها جيل ، فخفت إليه وردة وقالت « - : مابك يا أوليفر ؟ ما هذا الاضطراب ؟ فصاح وهو يلهث : عزيزتي ! لقد رأيته نعم رأيته ذلك الكريم الذي كان قد استضافتي عنده رأيته السيد براون وأين رأيته ؟ رأيته في أحد الأحياء وقد نزل من المركبة ودخل المنزل ، فغلبني الاضطراب فلم أستطع أن أهرع إليه ، غير أن جيل قد سأل عنه فعلم أن هذا مسكنه وإليك العنوان ودفع أوليفر ، إليها بورقة كتب فيها عنوان السيد براون ، فقرأتها وقالت - : سأصحبك يا أوليفر إلى هذا السيد الكريم ، ولكن أمهلني قليلا من الوقت حتى أرتدي ثياب الخروج ، وأخبر خالتي بأننا ذاهبان إليه .

وما هي إلا دقائق معدودات حتى كانت الأنسة وردة وأوليفر ، كان الليل قد انتصف عندما دخلت الأنسة وردة غرفتها ، والاضطراب

يقيمها ويقعدها ، فقد سمعت من الفتاة نانسي أشياء أذهلتها وعصفت بقلبها ، فاستلقت إلى سريرها لعل النوم ينقذها من ثوران نفسها وقلقها البالغ ، ولكن هيهات استعرضت في خاطرها الأشخاص الذين تستطيع أن تبوح لهم بذلك السر الخطير ، فما قر قرارها على واحد منهم فبدأت أولا بطبيب الأسرة ، وكان في ضيافتها ، فقد دعتة أن يصحبهم إلى أحد شواطئ البحر ، وكان السفر مقررا بعد يومين ، فلم ترتح إلى مباحثته بهذا الأمر لما تعرفه من طبعه الجاف ، فسوف يرى في كل هذا أضغاث أحلام ، وتذكرت فتى يدعى هنرى .

يستقلان المركبة في طريقهما إلى منزل السيد براون ، فلما بلغاه قالت الأنسة وردة ، للغلام :

ابق أنت في المركبة لأمهد لك سبيل اللقاء .

ونزلت الأنسة وردة من المركبة وسارت توا إلى المنزل ، وكانت

بعد قليل وجها لوجه مع السيد براون ، فتطلعت فيه فإذا هو رجل
وقور جميل القسمات ، قد خط الشيب رأسه فبادرته قائلة :

-جئت يا سيدي أحدثك عن غلام كنت قد غمرته فيما مضى بعطفك
وحنانك عن غلام اسمه أوليفر تويست

فاهتز الرجل عند سماعه هذا الاسم وقرأت الأنسة وردة في عينيه
الأسف والأسى ، فعلمت أنه يضمر له في قلبه ذكرى أليمة ، فقصت
عليه قصة الغلام دون أن تذكر له شيئا عما باحت لها به الفتاة
نانسي، فضاعت قسمات السيد براون فرحا وقال :

وأين هو الآن ؟ هلا جنتى به يا أنسة ! ، فقالت : إنه في المركبة
على مقربة من الباب ينتظر الأمر بالدخول

وأسرع السيد براون ، ينزل درج السلم أربعا أربعا ، وعاد بعد قليل
ممسكا بيد أوليفر ، والدنيا لا تسعه من شدة الفرح ، ثم نادى مديرة
المنزل ، فجاءت دون أن تعلم أية مفاجأة تنتظرها ، فلم يكذبصرها

يقع على أوليفر ، حتى هجمت عليه توسعه تقبيلًا وتركت الأنسة وردة المديرية العجوز وأوليفر يتناجيان ويتبادلان القبلات ، وطلبت إلى السيد براون أن تحدثه على انفراد ، فأطلعته على كل ما علمت من الفتاة نانسي فساورته من تلك الأنباء دهشة مشوبة بالقلق ، وتطلع أن يفتح هو طبيب الأسرة وخالتها بالأمر ، ويتشاوروا جميعًا في هذه المسألة الخطيرة .

ولم يضع السيد براون الوقت، فصحب الأنسة وردة إلى منزلها ومعهما أوليفر ، وهناك تبادل الرأي مع الطبيب فكان من رأى هذا إبلاغ رجال الأمن بالحادث بل بالحوادث ، ووضع الأمر في أيديهم ، غير أن السيد براون ، لم ير هذا الرأي وقال : لو شئنا هؤلاء المجرمون كلهم لضاع الأثر الذي يجب أن نسعي إليه ، وهو معرفة أهل أوليفر والتمكن من استرجاع ميراثه ويخيل إلى أن مفتاح هذه الأسرار كلها هو المسمى مونك فلو شكوناه إلى السلطات ما فزنا

بكبير طائل ، فليس في يدنا أي دليل على أنه من رجال هذه العصابة و هبه حكم عليه بالسجن بتهمة التشرّد ، فسوف يغيب مره معه في غياهب السجون، فالرأي أن نحتال للقبض عليه حين يكون محاطا برجال العصابة ، وذلك دون إبلاغ رجال الشرطة وليس لنا إلا تلك الفتاة التي جاءت إلى الأنسة وردة وعلينا أن ننتظر إلى يوم الأحد .

وافق الطبيب والأنسة وردة وخالتها على هذا الرأي ، ولكن الطبيب اشترط أن يستشير في الأمر صديقا حميما له يتكل على حصانته وحسن رأيه ولم يكن ذلك الصديق إلا السيد هنرى ابن خالة الأنسة وردة ، فلم يمانع السيد براون ولا الأنسة وردة وإن اصطبغ وجهها بكثير من الاحمرار .

كان اليوم يوم الثلاثاء ، فانتظروا جميعا يوم الأحد بفارغ الصبر ، وعندما دقت الساعة الحادية عشرة تناولت نانسي ، قبعتها وهمت

بالخروج وكان فاجن اليهودي العجوز في منزل سيك يتجادب وإياه أطراف الحديث، فلفت نظره أن نانسي ، تهم بالخروج فقال سيك حانقا - : إلى أين في مثل هذه الساعة المتأخرة ؟ فقالت نانسي : لن أغيب طويلا فأتار الغضب ثائرة سيك فقال وهو يزمجر - : ما هذا الجواب ؟ قولى إلى أين أنت ذاهبة ؟ فقالت نانسي -لا أعرف إلى أين تصل بي قدمى قلت إنى لن أغيب طويلا فقال سيك لن تخرجي والويل لك إن خالفت أمرى فاستشاطت نانسي غضبا وصاحت بأعلى صوتها :

-دعني أخرج، فروحي تكاد تزهق في هذا المنزل إنى في حاجة إلى استنشاق الهواء ومشت إلى الباب تحاول الخروج، غير حافلة بنهى سيك فهجم عليها هجوم الوحش الضاري ، وجذبها عن الباب، ورمى بها إلى داخل الغرفة ، فوقعت إلى الأرض وهى تصرخ من الألم وسر اليهودي العجوز أن يرى سيك يستخدم سلطانه على

الفتاة ولو بطريقة وحشية ، فقد كان منذ تصدت للدفاع عن الغلام أوليفر تخامره الظنون في إخلاصها للعصابة فقام وحيا سيك ، وشفع تحيته بنظرة أقره فيها على عمله وعدوانه ، وقفل راجعا إلى منزله غير أنه لم يسلك الطريق المؤدي إلى منزله ، بل عرج على حانة حقيرة مزدحمة بالمتسكعين واللصوص ، واختار منهم واحدا يسمى ولم وعهد إليه بمراقبة الفتاة نانسي وإبلاغه عن حركاتها وسكناتها خارج منزلها ، وعن الأشخاص الذين تقابلهم أو تحدثهم ، وأوصاه أن يجهد في سماع أحاديثها معهم

وقضى ، وليم ، ستة أيام مسمرا في مكانه على مقربة من منزل نانسي ، متنكر في زي حمال ، فذهبت مراقبته سدى ، فما خرجت الفتاة من المنزل ولا حتى أطلت برأسها من إحدى النوافذ وفي اليوم السابع وكان يوم أحد ، شاهد سيك يخرج قبيل العصر، ويسير في عكس الشارع الذي كان فيه ، وهو مطرق الرأس مشغول الذهن ،

فلمع بصيص من الأمل في قلب الرقيب ، وتوقع أن يرى نانسي ، تغادر المنزل بعد قليل ، ولكن خاب ما توقع فقد مرت ساعات طويلة وباب المنزل مغلق على مصراعيه ، ولم يتخط عتبه أحد من البشر ، خى إذا أشرفت الساعة على الحادية عشرة ، انفتح الباب وخرجت منه نانسي ، وسارت في اتجاه مكمله ، فمشى في ذلك الاتجاه متمهلا وتركها تسبقه ببضعة أمتار ، ثم تبعها في حرص شديد خوف أن تفلت منه أو تغيب عن أنظاره .

ودامت المطاردة نحو خمس وأربعين دقيقة ، وصلت نانسي ، بعدها إلى جسر لندن ، فوقفت قليلا تجيل بصرها في أطراف الجسر ، باحثة مدققة ، كأنها على ميعاد مع بعض الأشخاص ، واستطاعت أن ترى في ذلك الظلام الدامس رجلا وامرأة واقفين عند منتصف الجسر ، ومستندين إلى درابزونه يحدقان في كل من يجتاز الجسر كأنهما هما أيضا على موعد مع أحد القادمين ولم تفت الجاسوس

حركات الأشخاص الثلاثة ، فتبع نانسي ، مسرعا واقترب منها عندما رآها قد وصلت إلى المرأة والرجل وسمعها تقول لهما :
لا أستطيع أن أحدثكما هنا فتعاليا إلى تحت الجسر .

فسبقهم الجاسوس، ونزل درجات السلم المفضي إلى ما تحت الجسر، واختبأ وراء جدار من الجدران وأقبل الثلاثة الآخرون فوقفوا غير بعيد منه ثم قالت المرأة للفتاة نانسي -لقد انتظرناك عبثا يوم الأحد الماضي فلم تحضري - ولم أستطع الحضور ، فقد منعني من الخروج وضربني ضربا مبرحا فقال الرجل :

من هذا الذي يضرب النساء ويمنعهن من الخروج ؟ فقالت - : لقد حدثت عنه الأنسة وردة فهي تعرف أي سلطان له على فقال الرجل حسنا لنقتصد في الوقتمطلبنا يا أنسة أن تدلينا على هذا الذي يسمى مونك فيخيل إلينا أنه مفتاح سر القضية المتعلقة بالغلام .

وهبه أصر على الصمت فقال الرجل - : لا بد إذن أن تدلينا على

زعيم العصابة اليهودي العجوز

ارتجفت نانسي ثم قالت - : حذار يا سيدي إنه أحد أبالسة الجحيم على أنني أرجو أن تذكر الآنسة وعندما إيتاى بأن يبقى رجال الأمن والقضاء بعيدين ما تسعون فيه ، فأنا والرجل الذي أعيش معه سنكون أول من يشنق لكثرة ما اقترفنا من جرائم فقالت الآنسة وردة : لم أنس الوعد ولن أنقضه وأخذت نانسي تصف لهما الحانة التي تعود مونك ، أن يرتادها ، وتذكر لهما شكله وصفاته البدنية وعلاماته المميزة ، فكان الرجل يستمع لها وهو بادی الاضطراب ، وأتمت نانسي حديثها ، وكان كله أشبه بالهمس بحيث غاب بعضه على الجاسوس المتلصص المسترق للسمع وقالت : وهناك علامة فارقة تساعد على معرفته في أعلى عنقه فقاطعها الرجل قانلا : لطخة حمراء من أثر احتراق فقالت نانسي مدهوشة : أجل أتعرفه يا سيدي ؟ فتنهد الرجل وقال - : إن

الأوصاف التي ذكرتها عنه ، تجعلني أعتقد أنني أعرفه ...
ولكن قد يتشابه الناس وسكت الرجل قليلا ثم قال - : لقد خدمتنا يا
آنسة خدمة جلييلة فيماذا نكافئك ؟
أشكرك يا سيدي إن راحة ضميري هي المكافأة الكبرى .
فقال الرجل بلهجة كلها رقة وحنان :

إني ألمح صفاء نفسك يا آنسة فإن كنت أخطأت فيما مضى فلا تزال
لديك فسحة المستقبل تكفرين فيها عن أخطائك ، وتعيشين حرة
كريمة شريفة فتعالى معنا الآن ، وقبل انبلاج الفجر نبعثك إلى بلد
قاصي تختارينه من بلاد العالم ، ونزودك بالمال والرعاية فقطاعته
نانسي قانلة وهي تكاد تنتحب - : شكرا لك يا سيدي وألف شكر لقد
خطوت في حياتي الأثيمة الخطوات الفساح ، فلا سبيل إلى التكوص
وشاءت الآنسة وردة أن تقدم لها صرة من المال ، فاعتذرت نانسي
عن قبولها وقالت : سامحيني يا سيدتي إن أنا اعتذرت عن قبول

منحتك الكريمة ، فما قمت بما قمت به بغية اكتساب بعض المال، ولكن حسبي أن تهبيني قفازك أو منديلك ، أحتفظ به مدى الحياة أثرا كريما من نفس كريمة .

فخلعت الأنسة وردة قفازها ، وأعطتها إياه، ثم ودعتها وتأبطت ذراع الرجل الذي كان يصحبها ولم يكن إلا السيد براون وانصرفا وبقيت نانسي هنيهة وهي تجهش بالبكاء ، ولكنها رجعت إلى نفسها بعد قليل وصعدت درجات السلم إلى أعلى الجسر، ولقد انتظر الجاسوس حتى تبتعد، فبرح مكمته وطار إلى منزل اليهودي العجوز والدهشة تملأ جوانحه .

وكان اليهودي العجوز قابعا في منزله لم يغمض له جفن، وهو يترقب مجيء الجاسوس ، لينفض له ما رأى وما سمع، وكانت هذه حاله طول الأيام السبعة الماضية ، ولشد ما اضطرب فرحا أو ترحا عندما وفد عليه جاسوسه في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وبسط

له خبر اجتماع نانسي تحت جسر لندن برجل وسيدة كانا في انتظارها ، وأطلعه على جميع ما سمع من أحاديثهم ، فشكره اليهودي العجوز ووهبه الجعل المتفق عليه ، وسمح له بالنوم في الغرفة المجاورة ، والبقاء فيها حتى الصباح .

وخلا اليهودي العجوز إلى نفسه يعمل الفكر فيما سببته له نانسي من مشاكل لن تقف عند ضياع مغنمه ، بل قد تتعداه إلى تعريضه لخطر السجن والمشنقة وتطلع عرضا إلى باب الغرفة فرآه قد انفتح ، ودخل منه سيك متجهم الوجه ، ثائر النفس ، فاستهل كلامه مع العجوز بصوت يقصف قصف الرعد وهو يقول :

-أين نانسي ؟ فقال اليهودي العجوز : أنا أحق منك بهذا السؤال أليست تعيش معك تحت سقف واحد ، فكيف فرطت في مراقبتها ؟ فقال سيك : حذار أيها العجوز الوقح من غضبي وانتقامي إنك تتآمر و نانسي على ، ولكنك تعرفي حق المعرفة وتعلم أن القتل

أسهل ما ترتكبه يداى ، فالويل لك من انتقامى فقال اليهودي العجوز - : عد عن هذا الغضب ، واعلم أن نانسي تتآمر علينا جميعا، وسوف تجرنا إلى حبال المشائق فقال سيك وقد ازداد هياجه وغضبه - : أنت كذاب أشر أيها العجوز اللثيم - : أنت قادم الآن من منزلك ؟ ، فقال سيك - : كلا ولكني عرجت على المنزل بعد منتصف الليل بقليل ، فما وجدت نانسي فيه وقد حرمت عليها الخروج منه فقال اليهودي العجوز في هدوء مرعب قاتل - : سأبرهن لك على أني لست الكذاب الأشر، وسأجعلك تقتنع أن نانسي ستودى بنا جميعا إلى التهلكة وانفلت إلى الغرفة المجاورة ، وأيقظ جاسوسه ، ثم جاء به وهو يفرك عينيه من شدة النعاس ، وقال له بلهجة الأمر الناهى :

قل لصديقي سيك كل ما أخبرتنى به عن نانسي وعن أحاديثها مع من لقيتهما الليلة تحت جسر لندن ولا تخف منها حرفا واحدا فكرر

الجاسوس الرواية التي كان رواها لليهودي العجوز ، فلم يكد يصل إلى نهايتها حتى استدار سيك على عقبه ، وخرج مسرعا ، قاصدا منزله ، فوجد نانسي تغط في النوم ، فأيقظها بجفاء وغلظة ، وشد عليها الكير في السؤال والاستجواب ، فما ردت عليه بجواب تقتنع به نفسه ، فوثب إليها وثبة الذنب الغادر، وشد على عنقها بيديه الأثيمين حتى فاضت روحها وانقلبت جثة هامدة

غربت الشمس ذات مساء ، فوقفت مركبة من مركبات الأجرة عند دار السيد براون فنزل هذا منها، ونزل بعده رجلان بل عملاقان ، وهما قابضان على ذراعي رجل ثالث ، فأدخلاه عنوة إلى المنزل ولم يكن هذا الرجل الثالث إلا مونك .

دخل مونك المنزل مكرها ، وقاده السيد براون إلى مكتبه ثم قال يخاطب العملاقين الواقفين إلى جانبه :

اتركانا وحدنا ، وقفا عند الباب وكونا على مسمع من صوتي فنفذ

الرجلان أمر براون ، فما كادا يخرجان حتى قال مونك - : يدهشني يا سيدي وأنت صديق قديم لوالدي ، أن تعاملني بمثل هذه الخشونة والقسوة ! فقال براون - : أما وقد ذكرت الصداقة القديمة التي كانت تربطني بوالدك ، فاعلم أن تلك الصداقة وذلك الأمل البسام الذي كان يملأ جوانحي في أيام الشباب، ويقر بني من شقيقته التي اختارها الله إلى جواره في اليوم الذي كانت ستزف فيه إلى ، كل هذا قد جعلني أخلص له الود حتى مماته مع ما ارتكب من أخطاء وكل هذا يحملى اليوم على أن أراف بك يا إدورد ليفورد وأتناسى أنك لطخت اسم والدك بالعار والشنار فقال مونك وسنبقي له هذا الاسم - ثم ماذا ؟ فقال : براون حزينا أسيفا : إن لك أخوا فقطعه مونك قائلا : أنت تعلم يا سيدي أن ليس لي أخ ، وأني وحيد أبوى أنا أعلم أنك وحيد أبويك من زواج تاعس ، وأنهما بعد عدة سنوات مملوءة بالشجار واليأس والحقد ، افترقا لأن مذهبهما لا يجيز لهما الطلاق ،

فسعدت هي وكانت أصغر منه بعشر سنوات بحياتها الحرة ، وهو

عاش حزينا جريح الفؤاد

-ما لي أنا وهذه الأنباء ؟ أيمنع ذلك أن أكون وحيد أبوى؟ على

رسلك سأتم حديثي وإن كنت لا تجهل ما سأقول تعرف والدك إلى

ضابط أرمل كان له ابنتان إحداهما جميلة كالصباح في التاسع عشر

من ربيعها ، والثانية لم تكن سنها تتجاوز السادسة وبعد سنة واحدة

من ذلك التعارف أحب والدك الابنة الكبرى وأحبته ووعدها بالزواج

ثم سكت لحظة واستأنف حديثه وقال : وتوفي في هذه الأثناء بمدينة

روما نسيب شيخ تاركا لوالدك كل ثروته ، فسافر إلى روما

وأصيب هناك بمرض عضال، فلحقت به والدتك وكانت تقطن

باريس وصحبتك معها إليه، فتوفي والدك غداة وصولكما إلى

المدينة ، ولم يترك له وصية فعادت الثروة كلها إلى والدتك وإليك .

وهنا تنفس مونك الصعداء ، وظن أن حديث السيد براون سينتهي

عند هذا الحد ، ولكنه فوجئ بمحدثه يتابع كلامه ويقول : وقبل أن يرحل والدك إلى روما جاء يزورني، وترك عندي صورة كان قد رسمها هو نفسه لشقيقته التي كنت سأزوجها وكان الألم والندم قد هذا ركنه ، وأخبرني أنه ارتكب وزرا ثقيلًا يلطخ بالعار سمعة أسرة كريمة ، وأنهى إلى أنه سيصفي ثروته وميراثه ويحولهما إلى مال سائل ويترك لك ولوالدتك جانبا منه ثم يهجر البلاد إلى مكان بعيد ، ثم وعدني بأن يكتب إلى ويطلعني على جميع أعماله ولكنه لم يفعل وكانت زيارته لي هي بيننا اللقاء الأخير .

واستراح السيد براون قليلا ثم قال : ونعاه الثعاة ، وانتشر خبر موته ، فقصدت بعد مدة وجيزة إلى مسرح حبه الأثيم فعلمت أن أسرة الضابط قد هجرت المدينة منذ أيام ثلاثة ، وليس من يعرف إلى أين اتجهت فتبستم مونك منتصراً واستأنف السيد براون ، الحديث وقال :

ولا ريب رمى القدر أذاك في طريقي غلاما هزيلا يرتدي الأسمال ،
أويته و رعيته ، وأدهشني الشبه الذي رأيته بينه وبين الصورة
التي تركها والدك عندي ثم اختطف من عندي وأنت تعلم كيف
اختطف ولماذا اختطف ؟ فقال مونك في شيء من العناد والوقاحة
المهم يا سيد براون أنك لا تمتلك دليلا واحدا أدان به وإني
أتحداك أن تبرز ذلك الدليل فقال براون واثقا مطمئنا - : سوف نرى
فاسمع الآن بقية الحديث كنت أعلم أن والدتك قد توفيت ، وأنت أنت
وحدك من يستطيع أن يميظ اللثام عن نسب الغلام فبحثت عنك ،
فعرفت أنك رحلت إلى الهند الشرقية ثم عدت منها، ولكنني لم
أستطع أن أعرف عنوانك في لندن فقد قيل لي إنك متنقل من مكان
إلى مكان، فلا ترى إلا مع عشراء السوء كما كنت في حدائتك
ومطالع شبابك فقال مونك متضايقا دع عنك كل هذا ، وهات الدليل
على أنني محتال مزور ،وعلى أن هذا الغلام أخی فقال براون لقد

وقفت على الدليل منذ خمسة عشر يوماً فقط أنت تعلم أن لك أخت ،
وأنت تعرف هذا الأخ ، ولست تجهل أن والدك قد ترك وصية بشأنه ،
ولكن والدتك قد أخفت تلك الوصية ، وأخبرتك بذلك وهي تموت كان
هناك غلام وهذا الغلام قد أثار شكوكك منذ اللحظة الأولى التي رأيته
فيها ، ورأيت الشبه بينه وبين والدك ثم ذهبت إلى مكان مولده ،
وحصلت على الدليل ، ورميت به في أعماق النهر أفنكر هذه
الوقائع أيها اللص المنافق المتوارى وراء الظلام ، المتآمر مع
الأوباش واللصوص والأوغاد ، يا من كنت سببا في موت فتاة من
عصابتكم تساويك ألف مرة أتتحداني بعد يا إدورد ليفورد؟ فامتقع
وجه مونك وخارت قواه وقال -- : لست أنا الذي قتلها فصاح فيه
براون أتذكر الشبح الذي رأيته في يوم من الأيام وأنت تحدث
شريكك في الإثم اليهودي العجوز ؟ لقد كان شبح الفتاة الكريمة التي
تسمى نانسي فقد سمعت ما دار بينك وبينه من حديث ، وهي التي

سمعتك مرة أخرى تقول لذلك المجرم العجوز إنك رميت الدليل على نسب الغلام في أعماق النهر لقد حركتها الشفقة بالغلام ورجعتها إلى طريق الفضيلة ، ولكن صديقها الوحش قد كتم أنفاسها ، فأنت المسؤول عن إزهاق روح هذه المسكينة ، فصاح مونك ، مضطربا : لا لا لست أدري شيئا مما حدث ، ولا أعرف سبب قتلها فقال براون ، مهددة متوعدا - : والسبب هو أنها باحت ببعض أسرارك ، أمستعد أنت أن تبوح بجميع أسرارك ؟ فقال مونك متخاذلا :

-نعم فقال براون أتعلم أن تكتب اعترافك بخط يدك ، وأن تشهد عليه الشهود ؟ فقال مونك : نعم أقبل : فقال براون : اجلس إذن إلى هذا المكتب ، وابدأ بالكتابة ، وحينها تفرغ من اعترافك فسوف أسير بك إلى حيث تشهد عليك الشهود وأذكر أن عليك واجبا أعظم وهو أن ترد إلى غلام بريء ميراثه الكامل وأعتقد أنك لم تنس نصوص الوصية ، فنفذها بحذافيرها ثم ارحل إلى حيث شئت من بلاد الله

الواسعة .

وما كاد براون ينتهي من كلامه حتى اقتحم عليهما الباب الطبيب صديق أسرة وردة وهو يقول : لقد قبضوا على القاتل قاتل الفتاة نانسي أرشد رجال الأمن إليه كلب المجرم فكان الأثر الذي تعقبوه فقبضوا عليه فقال براون : واليهودي العجوز ؟ فقال الطبيب : يجد رجال الشرطة في البحث عنه وسوف يعتقلونه لا محالة وخرج براون ، والطبيب من الغرفة وأقلا على مونك الباب وأخذا يتشاوران ويتبادلان الرأي ...

وبعد أيام ثلاثة ، استقل الطبيب وأوليفر والأنسة وردة وخالتها إحدى المركبات الخاصة في طريقهم إلى مسقط رأس وليفر، في حين استقل إليها السيد براون مركبة من المركبات العامة ، يصحبه رجل لم يصرح باسمه وكان أوليفر في حال من الدهشة والاضطراب لزم معهما الصمت الطويل ، وشاطره ذلك الصمت كل ركاب

المركبة، وعندما وصلوا إلى المدينة التي ولد فيها أوليفر هاجت الذكريات في فؤاده ، فطفق يحدث الأنسة وردة ، ويدلها على ما يعرف من معالم المدينة : فهذا ملجأ البر الذي ولد فيه ، وهذه دار رعاية الطفل التي عاش فيها ، وهذا حانوت صانع التوابيت الذي عمل عنده وهذا وهذا ...

وكان المساء قد بدأ يلف الكون بردائه ، فوقفت المركبة عند أحسن فندق في المدينة فنزلوا منها واحتل كل منهم غرفته في الفندق وقبيل الساعة التاسعة ، وصل السيد براون في صحبة رجل غريب فما كاد أوليفر يراه حتى صاح صيحة الدهمش فقد تذكر أنه رآه مرة يدور حول المسكن الريفي الذي عاش فيه ناعما سعيدا في صحبة الأنسة وردة وأسررتها ، ويطيل النظر إليه ، ثم غادرت الأسرة الريف إلى لندن فلم تقع عينه عليه بعد ذلك ، فحججه الرجل ببصره ، وصوب إليه نظرة مملوءة بالحقد والكرهية .

واجتمع القوم في إحدى غرف الفندق ، وتصدر السيد براون في المجلس ، وكان في يده بعض الأوراق فقال يخاطب الجمع الحاضر: إن على مهمة شاقة ياسادة ، ولكن يجب أن أقوم بها ، ففي هذه الأوراق التي بيدي اعتراف هذا الرجل في مسألة تهمنا جميعا ، غير أنني حرصت على أن تسمعوا منه ذلك الاعتراف .

ثم وضع براون يده على رأس أوليفر وقال يخاطب ذلك الرجل الغريب وما هو إلا مونك : هذا الغلام هو أخوك هو الابن غير الشرعي لوالدك إدون ليفورد وللمسكينة أنيس فلمنج التي ماتت بعد ولادته بدقائق أليس كذلك ؟ فقال مونك وهو ينظر إلى أوليفر الذي كادت تسمع دقات قلبه : نعم فقال براون : وهذا الغلام مولود في هذه المدينة أليس كذلك ؟ فقال مونك : أجل في ملجأ البر والإحسان ثم قال يخاطب الجمع

الحاضر وهو يشير إلى الأوراق التي يحملها السيد براون - : إن

في هذه الأوراق القصة بحذافيرها فحسبك ذلك، فقال براون : نريد أن نسمعك تقصها علينا فأذعن مونك ، وقال - : مرض والدي وهو في روما فلحقت به أمي وصحبتني إليه معها ، وكان الموت قد بدأ يدب في جسمه فلم يعرفنا ، وتوفي في اليوم التالي ، وكان بين أوراقه ورقتان وضعهما في ظرف و عنوانه باسم السيد براون وأوصى أن لا يرسل إليه إلا بعد مماته ، فالورقة الأولى كانت رسالة إلى أنيبس والثانية وصية فقال براون : وماذا كان في الرسالة ؟ فقال مونك : اعتراف منه بأنه خدعها ولكنه ذكر لها أن هناك بعض الموانع كانت تحول دون زواجهما العاجل ، ثم طلب منها في الرسالة أن لا تحقد عليه إذا مات ، وأن تغفر له جريمته ، ثم ذكرها في الرسالة باليوم الذي أهداها فيه حلية ذهبية على شكل قلب ، وخاتما نقش عليه اسمها الأول مؤملا أن تمكنه الأقدار من أن يضيف إليه اسم العائلة ، ورجاها أن تحتفظ بالخاتم والحلية

وتضعهما دائما فوق قلبها فقال براون وقد رأى أوليفر ، يشهق ويبكي : وعلام احتوت الوصية ؟ ، فالتزم مونك ، السكوت فتاب براون عنه وقال : احتوت أولا على وصف الأشجان التي سببتها له زوجته الشرعية ، وعلى الميول الشريرة التي لمسها فيك أنت ولده الوحيد الذي ربي على الحقد على والده وكراهيته ، وتضمنت ثانيا ميراثا تركه لك ولوالدتك وقدره ثمانمائة جنيه في السنة، ثم قسم ثروته قسمين خص أحدهما بالفتاة أنيبس فلمنج وخص الثاني بالولد الذي ستلده ، ونص على إعطاء المولود ذلك النصيب بلا شرط ولا قيد إن كان أنثى أما إن كان ذكرا فيعطى نصيبه عندما يبلغ سن الرشد ، على شريطة أن لا يكون قد لطح اسمه بأية وصمة من وصات العار والجبن والخيانة، وإلا عاد الإرث كله إليك فقاطعه مونك قائلا : وقامت أمي بما تقوم به كل أم في مكانها، فقد أحرقت الوصية، ولم ترسل الرسالة إلى صاحببتها بل احتفظت بها وهجر

والد أنيبس المدينة هو وأسرته وتوفي بعد قليل ، أما ابنته الكبرى فهربت قبل ذلك ببضعة أسابيع وطافت المدن والقرى مشيا على الأقدام وسكت مونك واستأنف براون الحديث قائلا :

بعد عدة سنوات زارتني والدة إدورد ليفورد أي والدة هذا الشرير المائل أمامنا وأخبرتني أن ولداها هجرها وهو في الثامنة عشرة من عمره ، بعد أن سرق مالها وحليها وجواهرها ، وخسر كل ذلك في القمار ، فمال إلى النصب والاحتيال والتزوير ، ومعاشرة اللصوص والسراق ، وكانت مصابة بمرض خطير ومتحرقة شوقا إلى لقاء ابنها ، فعثرنا عليه بعد جهد جهيد، فرحلت معه إلى فرنسا فقال مونك متمما الحديث :

ماتت هناك بعد عذاب شديد وآلام مبرحة، وقبل أن تلفظ أنفاسها، باحت لي بسرها وورثتي حقدتها الدفين على أنيبس وولداها ، وكانت مقتنعة بأن الفتاة لم تنتحر ، وبأنها ولدت غلاما وهو حي يرزق ،

فأقسمت قائلا : لئن لقيته يوما لأعذبه عذابا أليما، وألاحقته بما استطعت من قوى وجهد حتى أجعل منه لصا سافلا حليف المنكرات والموبقات، ولو أدي الأمر إلى أن أدنيه من حبل المشنقة ، فأقضى على روح تلك الوصية الزرية وها أنا ذا قد لقيته في طريقي ، وبدأت عملي فيها نويت له بداية طينية ، وكدت أصل إلى أمنيته وبنانسي لولا تلك الفتاة الثرثرة التي تسمى نانسي ثم أخذ مونك ، يقذف من فيه الشتائم واللغات ، في حين اندفع براون يشرح للسامعين الخطة التي اتفق عليها مونك ، واليهودي العجوز والتفت براون ، بعد ذلك إلى مونك وسأله قائلا - : وكيف عثرت على الحلية والخاتم ؟ فقال مونك -اشتريتهما من الرجل والمرأة اللذين حدثتك عنهما وأنت تعرف أي رميت ذلك الأثر في أعماق النهر فخرج براون من الحجرة وعاد بعد قليل يدفع أمامه السيد بمبل وزوجته ، فلما صارا في وسط الحجرة قال لهما مشيرا إلى مونك

أتعرفان هذا الرجل ؟ فقالا معا : كلا فقال براون ألم يبتع منكما شيئا قط ؟ أولم يكن في حوزتكما خاتم وحلية ذهبية على شكل قلب فاشترهما منكما ؟ فقالا معا : كلا وألف مرة كلا فخرج براون ثانية من الغرفة ، وعاد تصحبه امرأتان طاعتان في السن ، تكادان لا تقويان على المشي ، فما إن يقع نظرهما على زوجة بمبل حتى رفعت إحداهما يدها المرتجفة ولوحتها في وجهها وقالت : لقد عنيت بإقبال الباب يوم ماتت العجوز سالى ولكنك لم تستطيعي أن تسدى فتحاته، فسمعنا كل الحديث وأردفت العجوز الثانية قائلة :

وفي اليوم التالي تبعناك إلى بنك الرهون فرأيناك قد تسلمت منه خاتما وحلية ذهبية نعم تبعناك ورأينا كل شيء ولا عن ذلك فإن المسكينة سالى كانت قد أخبرتنا قبل ذلك بزمن طويل ما أنهت إليها تلك الفتاة الصبية الجميلة أخبرتها أنها كانت تشعر باضمحلال قواها ، وبأنها لن تعيش طويلا ، فكانت تنوي السير ، حيث تموت على

قبر من وهبها ذلك الغلام .

الخاتمة

فلم يسع بمبل وزوجته إلا الإقرار ، وهما مستنكران خيانة مونك فسمح لهما بالانصراف . وشكر براون للعجوزين الطاعنتين في السن شهادتهما الثمينة ، وأوصلهما إلى الباب مودعا ، ثم عاد وأمسك بيد الأنسة وردة وقال يخاطب مونك: أتعرف هذه الأنسة ؟ فقال مونك: نعم أعرفها إنها شقيقة أنيبس : فبعد موت أبيها، وهرب أختها الكبرى، احتضنتها أسرة فقيرة من الفلاحين ، ثم لقيتها اتفاقا هذه السيدة الحاضرة بينا فأعجبت بها، وطلبت إلى تلك الأسرة الفقيرة أن تنزل لها عنها وهكذا كان فصاحت السيدة الوقور مقتربة من وردة : وهي عندي أعز من ابنة حقيقية ، بل أعز من نفسي ، ولن أفقدها فقالت وردة - : لقد كنت لى يا سيدتي أما برة رؤوما ، فلن أنسى فضلك ما حييت واقترب أوليفر من وردة وقال لها

وهو يعانقها : أما فلم تكونى لى خالة فقط ، بل كنت شقيقة
عزيزة حبيبة و جرت خاتمة أشخاص هذه الرواية على ما يقضى به
الحق والعدل والإنصاف ، فحكم على سيك وعلى اليهودي العجوز
بالشئق ، قصاصا لهما على ما ارتكبا من آثام وجرائم ، وعفت
المحكمة عن الجاسوس وليم مكافأة له على إرشاد الشرطة إلى مخبأ
اليهودي العجوز، ثم انتظم في سلك الشرطة خادما أميناً للأمن
والقانون وقسا القدر على جميع من استخدمهم اليهودي العجوز في
تنفيذ أغراضه، ممن غفلت عنهم عين العدالة فكانت عاقبة أمرهم
أوخم العواقب أما الغلامان جاك وشرلو فقضيا فترة من الزمن في
سجن الأحداث ثم خرجا منه وقد استقر في ذهنهما أن الحياة الحرة
العاملة هي ما يرفع قدر الإنسان في أعين نفسه والناس فجدا
واجتهدا وكبرا في ظلال الفضيلة والاستقامة والعمل الشريف .

واستنكرت إدارة الملجأ ما قام به بمبل وزوجته فطردا منه ، وقاسيا

الهبوان والذلل وشظف العيش سنوات طويلة ثم انتهى بهما الأمر إلى سكن الملجأ لاجئين ذليلين بعد أن كانا فيه المديرين صاحبي الأمر والنهي والسلطان .

واضطر مونك ، أن يقدم إلى أوليفر نصيبه من ميراث أبيه ، غير أن أوليفر أبقى له نصفه ليمكنه من العيش الحر السليم ، ولا سيما أنه كان قد بدد نصيبه الخاص به ، فرحل إلى أمريكا محتفظا باسم مونك المستعار ، ولكنه عاد هناك إلى سيرته الشريرة ، فقضى نحبه في أحد السجون .

وزفت الأنسة وردة إلى الفتى هنرى ابن السيدة الوقور التي ربتها وكفلتها، فعاشا في ظلال تلك السيدة الكريمة عيشة هنيئة سعيدة واختارا السكن في لندن وكان طبيب الأسرة يزوره حيناً بعد حين ، ويقضي معهم سهرات جميلة وكان سرورهم يبلغ منتهاه عندما ينضم إليهم السيد براون ومعه أوليفر الذي تبناه فيقضون جميعاً

ساعات ممتعة تخفي هباتها ما في فؤاد كل منهم من ذكريات أليمة.
ونشأ أوليفر نشأة سالحة ، وساعدته فضائله ومكارم أخلاقه وطيب
عنصره ، على أن يكون مثال الشباب العاملين الناجحين ..